شؤون الشرق الأوسط

ISSN 2822-6399
9 772822 639003

ŞU'UN EL ŞARK EL EVSAT
ORTADOĞU İŞLERİ

مجلة سياسة دولية

المجلد: 3 العدد: 11
مارس-أبريل 2023

دبلوماسية الإغاثة وتحفز العلاقات السياسية: موقف مصر من كارثة الزلزال في تركيا

خيري عمر

الآثار الإقليمية والإنسانية لزلزال تركيا وسوريا

كيريل ستورماك

بين زلزال تركيا والزلازل في أفريقيا

فولكان إيبك

الشرق الأوسط ودبلوماسية الكوارث:

محنة زلزال تركيا وسوريا

مقابلة

ماري روز رومان مورفي
عبد النور تومي

محددات السياسة الأمريكية تجاه العراق في عهد إدارة بايدن

واثق السعدون

دبلوماسية الكوارث وأثرها في العلاقات الدولية: زلزال تركيا أنموذجا

زيد عبد الوهاب الأعظمي

مركز أورسام لدراسات الشرق الأوسط من أكبر المؤسسات الفكرية التركية التي تعمل في مجال دراسات الشرق الأوسط

ويواصل مركز أورسام أنشطته مع فريقه المتكامل والموسع في أنقرة واسطنبول من خلال متابعة التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تحدث في المنطقة وذلك عن طريق أبحاثه وتحليلاته ودراساته التي تثريها الأبحاث الميدانية والتي تتم عن طريق الخبراء والباحثين العاملين فيه.

من أجل متابعة آخر أخبار أورسام يمكنكم زيارة الموقع الرسمي لأورسام

www.orsam.org.tr

ومتابعة صفحات أورسام عبر وسائل التواصل الاجتماعي

ORSAM
Ortadoğu Araştırmaları Merkezi • Center for Middle Eastern Studies
مركز دراسات الشرق الأوسط

www.orsam.org.tr | orsamorgtr

افتتاحية العدد

قراؤنا الأعزاء،

يسرنا أن نقد لكم العدد الحادي عشر من المجلد الثالث لمجلة "شؤون الشرق الأوسط" لشهـــري آذار/ مـــارس و نـــيسان/ أبريل2023، التي تصدر عن مركز أورسام لدراسات الشرق الأوسط في أنقرة ORSAM. ملف هذا العدد هو "الشرق الأوسط ودبلوماسية الكوارث: محنة زلزال تركيا وسوريا"، وقد اختارت هيئة تحرير المجلة هذا الموضوع، نظراً لحجم هذه الكارثة الطبيعية غير المسبوقة، التي حدثت في جنوب تركيا وشمال سوريا، وآثارها الانسانية الأليمة، فضلاً عن طبيعة الحراك الدبلوماسي في المنطقة، إزاء هذه الكارثة، والذي اتسم بالمواقف الايجابية والاستعداد الصادق لتقديم العون لمتضرري هذه الكارثة. ضمن هذا الإطار، ستجدون في هذا العدد مقالات مهمة لأكاديميين وباحثين متميزين من العالم العربي ومن تركيا، تناولت الموضوع الرئيس للعدد، ومواضيع أخرى مهمة من شؤون المنطقة، وهي على التوالي: " دبلوماسية الإغاثة وتحفز العلاقات السياسية: موقف مصر من كارثة الزلزال في تركيا"، " الآثار الإقليمية والإنسانية لزلزال تركيا وسوريا"، " دبلوماسية الكوارث وأثرها في العلاقات الدولية: زلزال تركيا أنموذجا"، " مواقف الدول الأفريقية تجاه محنة الزلزال في تركيا: الوفاء بالعهد"، " بين زلزال تركيا والزلازل في أفريقيا"، "منطقة القرن الافريقي وتداعيات أزمة التغيرات المناخية"، " محددات السياسة الأمريكية تجاه العراق في عهد إدارة بايدن"، " العرب والعثمانيون : إعادة قراءة لتاريخ الفترة العثمانية في العالم العربي". وختم هذا العدد بمقابلة حصرية أجراها مركز أورسام مع الناشطة الأمريكية (من أصول هايتية) في مجال تنمية المجتمعات ماري روز رومان مورفي، لتحدثنا عن أهمية الأنشطة المجتمعية في زمن الكوارث الطبيعية، مثل التكاتف والتكافل المجتمعي، ومشاريع تحفيز الاقتصادات المجتمعية والتنمية المستدامة، ودعم المشاريع الصغيرة التي تتضرر بسبب تلك الكوارث.

نتمنى لكم قراءة ممتعة، ونأمل أن تنال محتويات هذا العدد رضاكم.

Ortadoğu Araştırmaları Merkezi
ORSAM مركز دراسات الشرق الأوسط
Center for Middle Eastern Studies

ŞU'UN EL ŞARK EL EVSAT / ORTADOĞU İŞLERİ — **شؤون الشرق الأوسط**

Ortadoğu Araştırmaları Derneği Adına Yayın Sahibi — **صاحب امتياز النشر جمعية دراسات الشرق الأوسط التركية**
Prof. Dr. Ahmet Uysal — أ. د. أحمد أويصال

Sorumlu Yazı İşleri Müdürü — **مسؤول شؤون النشر**
Prof. Dr. Ahmet Uysal — أ. د. أحمد أويصال

Editörler — **المحررون**
Doç. Dr. İsmail Numan Telci — أ. م. د. إسماعيل نعمان تلجي
Dr. Watheq Alsadoon — د. واثق السعدون

Editör Asistanı — **سكرتير التحرير**
Talha Özmen — طلحة أوزمان

Danışma Kurulu — **الهيئة الاستشارية للمجلة**
Prof. Dr. Cengiz Tomar, Türkiye — أ. د. جنكيز تومار، تركيا
Prof. Dr. Burhan Köroğlu, Türkiye — أ. د. برهان كوراوغلو، تركيا
Prof. Dr. Mohammed Affan Al-Hamdani, Irak — أ.د. محمد عفان الحمداني، العراق
Prof. Dr. Mahir Nakip, Türkiye — أ. د. ماهر النقيب، تركيا
Prof. Dr. Mostafa Bakhoush, Cezayir — أ. د. مصطفى بخوش، الجزائر
Prof. Dr. Enver Arpa, Türkiye — أ. د. أنور أربا، تركيا
Prof. Dr. Elsadig Elfaqih, Sudan — أ. د. الصادق الفقيه، السودان
Prof. Dr. Musa Yıldız, Türkiye — أ. د. موسى يلدز، تركيا
Dr. Rashed Hamad Rashed Al-Nuaimi, Katar — د. راشد حمد راشد النعيمي، قطر

Yayın Kurulu — **هيئة التحرير**
Prof. Dr. Ahmet Uysal — أ. د. أحمد أويصال
Dr. Watheq Alsadoon — د. واثق السعدون

Grafik-Tasarım — **تصميم وغرافيك**
Mustafa Cingöz — مصطفى جينكوز

Yönetim Merkezi — **إدارة المركز/ العنوان**
Ortadoğu Araştırmaları Merkezi (ORSAM) — مركز أورسام لدراسات الشرق الأوسط (ORSAM)
Mustafa Kemal Mah. 2128. Sok. No: 3 Çankaya / Ankara — حي مصطفى كمال، شارع رقم: 2128، عمارة رقم: 3 أنقرة/ جنكايا
Tel: +90 850 888 15 20 — هاتف رقم: 20 15 888 850 90+

Fotoğraflar: Anadolu Ajansı, Shutterstock — **صور المجلة:** وكالة الأناضول، Shutterstock
Cilt: 3, **Sayı:** 11, Mart-Nisan 2023 — **المجلد:** 3، **العدد:** 11، مارس-أبريل 2023
Yaygın Süreli Yayın — مجلة دورية عمومية
2 Aylık Arapça Dergi — مجلة عربية لمدة شهرين

Bu dergide yer alan yazılardaki değerlendirmeler, aksi belirtilmedikçe ORSAM'ın kurumsal görüşünü yansıtmamaktadır. Dergideki tüm yazıların telif hakları ORSAM'a ait olup, 5846 Sayılı Fikir ve Sanat Eserleri Kanunu uyarınca kaynak gösterilerek kısmen yapılacak makul alıntılar ve yararlanma dışında, hiçbir şekilde önceden izin alınmaksızın kullanılamaz, yeniden yayınlanamaz.

© 2023 ORSAM

التقييمات والتحاليل الدراسية الموجودة في مقالات هذه المجلة لا تعكس وجهة نظر مركز أورسام لدراسات الشرق الأوسط مالم ينص على خلاف ذلك. جميع المقالات في المجلة محمية بحقوق النشر بواسطة مركز أورسام لدراسات الشرق الأوسط ولا يمكن استخدامها أو إعادة نشرها بأي شكل من الأشكال من دون إذن مسبق، باستثناء الاقتباسات المعقولة الجزئية وذلك عن طريق إظهار المصدر وفقًا لقانون الأعمال الفكرية والفنية رقم 5846.

© 2023 أورسام

مجلة سياسة دولية
شؤون الشرق الأوسط

المحتويات

المجلد: 3 العدد: 11 مارس-أبريل 2023

ملف العدد

04 **دبلوماسية الإغاثة وتحفز العلاقات السياسية: موقف مصر من كارثة الزلزال في تركيا** / خيري عمر

08 **الآثار الإقليمية والإنسانية لزلزال تركيا وسوريا** / كيربل ستورماك

16 **مواقف الدول الأفريقية تجاه محنة الزلزال في تركيا: الوفاء بالعهد** / كآن دفجي أوغلو

أفريقيا

20 **بين زلزال تركيا والزلازل في أفريقيا** / فولكان إيبك

تاريخ حديث

32 **العرب والعثمانيون: إعادة قراءة لتاريخ الفترة العثمانية في العالم العربي** / محمود أحمد عبداللهي أحمد

ملف العدد

دبلوماسية الكوارث وأثرها في العلاقات الدولية: زلزال تركيا أنموذجا

زبد عبد الوهاب الأعظمي

12

منطقة القرن الافريقي وتداعيات أزمة التغيرات المناخية

إبراهيم ناصر

24

مقابلة

36
عبد النور تومي
ماري روز رومان مورفي:
"حجم وتواتر الكوارث الطبيعية في العالم يتسارعان إلى مستوى ينذر بالخطر!"

العراق

محددات السياسة الأمريكية تجاه العراق في عهد إدارة بايدن

واثق السعدون
28

12

08

08

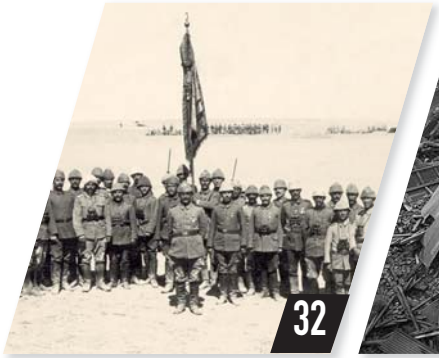
32

20

ISSN 2822-6399
9 772822 639003
www.orsam.org.tr /orsamorgtr

دبلوماسية الإغاثة وتحفز العلاقات السياسية: موقف مصر من كارثة الزلزال في تركيا

خيري عمر

الاتصالات المصرية مع تركيا خلال محنة الزلزال جاءت ضمن إطار اقتراب البلدين من المصالح الثنائية، وكانت هذه الأزمة الطارئة مُحفزاً لتنشيط السياسة الخارجية والبحث عن الفرص المحتملة وتفكيك القيود المرتبطة بها.

مع وقوع كارثة الزلزال بمناطق جنوبي تركيا، بدت أهمية مناقشة الترابط ما بين الأزمات الناتجة عن الظواهر الطبيعية والعلاقات السياسية بين الدول. وبجانب سلسلة شحنات الإغاثة، جاءت زيارة وزير الخارجية المصرية، سامح شكري، لتركيا في إطار سلسلة من اللقاءات التشاورية لمراجعة المرحلة الماضية. وهو ما يثير النقاش حول الاتجاهات المحتملة للعلاقات السياسية بين البلدين.

وفي اليوم التالي لوقوع الزلازل، بدت النزعة الإنسانية والتضامن واضحة، بدأت باتصالات بادر بها المسؤولون

المصريون، وذلك للإعلان عن حزمة مساعدات والثقة في سياسة الإنقاذ التركية. وبدأت حملة المساعدات في 8 فبراير الماضي بإرسال 5 طائرات عسكرية محملة بالأدوية والمواد الطبية. وفي 22 فبراير الماضي، وصلت طائرتا شحن عسكرية وسفينة إمداد محملة بشحنات من المساعدات التي

لم تقتصر على توريد الخامات، ولكن صاحب الكلام الرغبة في بث الثقة وإحياء التاريخ المشترك، وهنا، كشف التفاعل النشط من جانب الممثلين الديبلوماسيين لدى البلدين أهمية التحرك متعدد المستويات السياسية في تحويل الصورة نحو المراجعة المفتوحة.

وحسب السياقات السابقة، يمنح الاتصال على مستوى القمة بمناسبة الزلزال المستويات الأخرى صلاحية التقدم في المسارات المختلفة. في هذا السياق، كشفت زيارة وزير الخارجية سامح شكري في 27 فبراير عن تلاقي الرغبة في استكمال مشوار عودة العلاقات لمستواها السابق، كما تضمنت هذه التأكيد على التضامن الشعبي وتوسيع خيارات المصالح المشتركة والمساهمة في الاستقرار الإقليمي. تعكس هذه الخطوة نوعاً من الإدراك المشترك يتجاوز احتياجات الإغاثة والضرر الكارثي لسلسلة الزلازل إلى الخروج من تباطؤ مسار استعادة العلاقات. على أية حال، تظل المساعدات لغرض الإغاثة والإعمار تعبيراً عن حسن النية وشكلًا رمزياً، لكنه في ذات الوقت، يستكمل طريق النقاش حول المصالح الحيوية وخفض التهديد الأمني المشترك.

وفي سياق ترابط تطلعات البلدين، يمكن النظر للقاء وزيري الخارجية امتداداً لعمل اللجان الديبلوماسية خلال القترة الماضية، حيث يتم ترتيب مسار التقدم للعلاقات الثنائية، بداية من الجوانب الفنية، الانتقال للمستوى الوزاري وأخيراً المستوى السياسي. وقد استند وزير الخارجية التركي، مولود تشاووش أوغلو، للقاء الرئيسين، طيب أردوغان وعبد الفتاح السياسي، في مونديال قطر، كأساس للحراك وترتيب الخطوات اللاحقة لتكون السياسة الخارجية توجهاً لتجميع المصالح.

وبالتزامن مع لقاء وزيري الخارجية، تعمل مصر على التحضير لمسار

تشاوري لتحديد موضوعات النقاش وتسارع استعادة العلاقات، وذلك تحت مظلة استعادة علاقات البلدين. ورغم وضوح الطابع البيروقراطي، يميل سياق التصريحات واحتفاء تركيا بالوفود المصرية إلى تزايد فرصة تجاوز تداعيات المرحلة السابقة. وهو ما يجعل التضامن الإنساني ضمن سياق سياسي وليس حدثاً منفرداً، بشكل يساعد على تحويل الرغبة في استعادة مسار العلاقات لسياسات مشتركة.

ورغم توقف الزيارات الرسمية لعشر سنوات خلت، ظل الطابع الودي قائماً، سواء في الملتقيات الدولية أو في الحديث غير المباشر، لم ينقص منه إشارات القلق من الأزمة في شمال سوريا أو اختلاف منظور التعامل مع أوضاع شرق البحر المتوسط والأمن في ليبيا. فعلى اية حال، لم يحدث انقطاع في مصالح أو علاقات البلدين خلال تلك السنوات.

وبتجاوز تطور التبادل التجاري والقابلية للاستثمار المباشر، لم تحدث يدخل البلدان في أزمات ديبلوماسية طويلة، بل كان هناك حرص على إبقاء العلاقات مفتوحة عند مستوى القائم بالأعمال.

وعلى مستوى التناظر، تسير العلاقات المصرية التركية في حِزَم متقابلة على المستويات الرسمية والشركات الاستثمارية، ما يُشكل حالة من تضافر المصالح على مستويات مختلفة من التمثيل السياسي والفاعلية على أساس الثقة والقيم المشتركة مع الشعب المصري، وذلك فقاً لوزير الدفاع التركي خلوصي آكار في مايو 2021، بدت الاستجابة المصرية أكثر اقتراباً من تجاوز المرحلة السابقة وتداعياتها عبر مشاركة القوات المسلحة المصرية في إغاثة متضرري الزلزال وما يحمله من دلالات على تشارك النظر في المصالح الأمنية والدفاعية.

وبشكل عام، بدت الأطر الرسمية في مدينة أضنة شاهدة على ملامح التقارب الرسمي بين البلدين. حيث اتخذت نمطين، كان الأول في اللقاءات الرسمية بين وزيري الخارجية، وفيه تم التعبير عن القابلية للمضي في تطوير العلاقات الثنائية، وتُوضح المفردات المستخدمة عن فرصة رفع سقف العلاقات الثنائية، والثاني، النمط المؤسسي للمساعدات والتي شاركت فيها شاحنات عسكرية وشركات مدنية.

ويمكن قراءة زيارة وزير الخارجية ضمن مشوار التساند السياسي على مدى العامين الماضيين. فقد بدى لقاء الرئيسين في الدوحة في نوفمبر 2022 الماضي لافتاً وفي فتح آفاق الاتصال السياسي، وبجانب الحديث عن ترفيع التمثيل الديبلوماسي في ثنايا الانتخابات التركية، جاءت زيارة "سامح شكري" ضمن سياقات التحضير للعلاقات الثنائية، ويصعب تفسير أو تناول الاستجابة الإنسانية

كحدثٍ طارئ في علاقات البلدين، فالتفاعل الذي يبدو تلقائياً، كان مَكملاً لتغير متتابع من حالة التوتر الزائف للوضع التقليدي في علاقات البلدين بأبعاده الاجتماعية والإقليمية.

ومن وجهة تجانس السياسة الخارجية في النطاق الحيوي، يمكن النظر لزيارة الرئيس المصري لكل من أذربيجان وأرمينيا في يناير الماضي تعبيراً عن الرغبة في احترام النطاق الحيوي لتركيا والدخول المتوازن لمنطقة القوقاز، كما أنه في ظل تلاقي تركيا ومصر على إعادة النظر في وضع سوريا وتسوية مشكلاتها السياسية والأمنية، بدت التغيرات الإقليمية واحدة من عوامل انفتاح العلاقات المصرية . التركية، فقد ساعد التقارب على مستوى المشرق العربي في دعم الاتصالات العربية مع تركيا. كما يساهم فتح النقاش حول معالجة الوضع الأمني في سوريا في تجنيب الجدل حول التدخل الدولي والمضي نحو وضع صيغة لوقف الحرب الأهلية وتعدد التدخل الروسي والغربي، ما يوفر أرضية للتفاهم حول تسوية مشكلات الشمال السوري وتقديم أطروحات متقاربة للمسألة السورية.

ومنذ نهايات العام الماضي أبدت تركيا رغبتها في مراجعة العلاقة مع سوريا من خلال "اتصالات ثلاثية" تشمل روسيا، وذلك عبر ثلاث خطوات، توحيد المنظمات الاستخبارية، ثم اجتماع وزراء والخارجية لتنتهي باجتماع قادة الدول الثلاث. تقوم الأفكار التركية على مكافحة الإرهاب، ضمان عودة اللاجئين ودفع مسار الحل السياسي. تتعلق النقطة الأكثر أهمية بتهدئة الاختلاف مع الدول العربية على تكييف النفوذ التركي في شمال سوريا تدخلاً خارجياً، وهنا، يساهم المنظور التركي تجاه سوريا في تمهيد الطريق أمام مراجعة العلاقات مع المنطقة العربية.

وفي أثناء التداعيات الفورية لزلزال الجنوب التركي، تكشف التصرفات التلقائية عبر مداخلات بعض المصريين لدى وسائل إعلام مصرية خاصة عن نمط من القابلية للاستجابة في مساحات مشتركة يمكن بناءها. يساعد مثل هذه المشاركات على إماطة اللثام عن المساحات الاحتمالية لخدمة الدولة. فقد شكل منظور التضامن الإنساني خلفية حراك المصريين تجاه إغاثة اللهفان مع بداية الكارثة، وتشير بداية الأيام الأولى لنوع من المبادرة الذاتية في التحرك نحو الجنوب التركي واتساع النشاط في المدن الرئيسية للتحضير لجمع مواد الغوث. ويمكن ملاحظة أمرين رئيسيين، تمثل الأول في التركيز على القيام بعمل ما دون الاهتمام بالصورة الإعلامية، أما الثاني، فكان في وضوح مظاهر الاندماج الاجتماعي والقبول السياسي، فقد كشفت الأزمة عن أرضية مشتركة داخل المجتمع التركي وفي الوطن، حيث ظهر ما يمكن تسميته بظهور الروح المشتركة وقت الأزمات.

وبشكل عام، يتوقف تقدم العمل الأهلي للمصريين في تركيا على عاملين، يكمن الأول في حياد أداء الخدمات واحترام العلاقات الثنائية بين البلدين بعيداً عن التداعيات الكارثية لأزمات الاخوان المسلمين، أما الثاني، فيتعلق بالقدرة على تكوين صورة ذهنية إيجابية عن مصر لدى المجتمع السياسي التركي ومتوافقة مع الوعي الشعبي العام للصورة التاريخية عن مصر.

وبالنظر للتطورات الراهنة، يوضح السياق السابق بأن الاتصالات المصرية مع تركيا خلال محنة الزلزال جاءت ضمن إطار اقتراب البلدين من المصالح الثنائية، وكانت هذه الأزمة الطارئة مُحفزاً لتنشيط السياسة الخارجية والبحث عن الفرص المحتملة وتفكيك القيود المرتبطة بها. ولهذا، يمكن القول، أن توتر السنوات الماضية لم يؤثر على جوهر المصالح الاستراتيجية، فقد حافظ الطرفان على المستوى اللائق للعلاقات السياسية ومنع الوصول لمرحلة القطيعة، بحيث ظلت الأبواب مفتوحة أمام احتمالية التغير والتكيف مع التغيرات الدولية أو الإقليمية. وفي هذا السياق، وَفرت الأنشطة الديبلوماسية والسياسية فرصة للتلاقي بين الجانبين، وفي الفترة الأخيرة، يرسم حياد التغطية الإعلامية في مصر للشؤون التركية صورة تعكس التقدم في العلاقات الثنائية والشبكات الاجتماعية ومجتمعات الأعمال والاستثمار، بحيث تبدو العلاقات التركية . المصرية على طريق استكمال مستويات التمثيل السياسي والمصالح المشتركة والمساهمة في تكوين الكتلة الإقليمية.■

خيري عمر: أكاديمي من مصر، أستاذ مشارك دكتور في العلوم السياسية بجامعة صقاريا في تركيا.

الآثار الإقليمية والإنسانية لزلزال تركيا وسوريا

كيريل ستورماك

> لم تكن العواقب والكارثة التي تعرضت لها سوريا بسبب الزلزال الذي ضربها أقل مما كانت عليه في تركيا، على الرغم من صغر المساحة الجغرافية المنكوبة. مما يزيد الوضع تعقيداً في سوريا، هذا البلد الذي يشهد حالة حرب أهلية طويلة منذ عام 2011، وأن هناك صراعات مستمرة وتدخلات أجنبية في مناطقها المختلفة منذ عام 2015.

تعرضت تركيا وسوريا يوم الإثنين 6 فبراير/ شباط 2023 إلى أحد أكثر الأحداث مأساوية في تاريخهما الحديث. حيث شهد هذان البلدان موجتين من زلزال بلغت قوته7.8 درجة على مقياس ريختر، وهو الزلزال الأقوى خلال القرن الأخير. ولم يكن من الممكن توقع الدمار والعواقب المقدرة لهذه الكارثة، التي أدت إلى وفاة عشرات الآلاف من الأرواح، وقد نشأت عن ذلك حالة شديدة الصدمة والذعر في مختلف أنحاء البلدين، خاصة في الأيام الأولى للزلزال، كما بدأ العديد من المراقبين الدوليين في الأسابيع الأولى بإعطاء مؤشرات مقلقة حول حجم الكارثة. ويمكننا القول إن هذه الزلازل المرتبطة ببعضها البعض بشكل منتظم، أسفرت عن تداعيات إقليمية خطيرة لا زالت متواصلة حتى اليوم.

الكوارث الوطنية والجهود متعددة الأبعاد في تركيا

قبل كل شي، يجب القول إن اليوم الذي وقع فيه الزلزال سيظل أحد أكثر الأيام سواداً في التاريخ التركي خلال القرن الحادي والعشرين.

فبالإضافة إلى مصرع أكثر من 41 ألف شخص تحت الأنقاض, تسببت هذه الكارثة النادرة الحدوث أيضا في أضرار اقتصادية واجتماعية وخيمة. وعلى الرغم من ذلك, استمرت جهود البحث حتى بعد أسبوعين من الكارثة, وتم إنقاذ بعض الأشخاص بعد 300 ساعة من انهيار المباني. وتم إعلان حالة الطوارئ في محافظات جنوب شرق الأناضول التي كانت الأكثر تعرضا لهذه الزلازل الكبيرة، وهي قهرمان مرعش وغازي عنتاب وشانلي أورفا وديار بكر وأديامان

وعثمانية وهاتاي وكيليس وملاطية وأضنة وإيلازيغ، كما توجه عدد كبير من المسؤولين الأتراك إلى المناطق المنكوبة، وتم إرسال العديد من فرق الإنقاذ من داخل تركيا ومن جميع أنحاء العالم إلى تلك المناطق.

وفي الوقت نفسه، أصبحت تركيا بعد هذا الدمار الكبير، تواجه بعض المشاكل التي يمكن أن تظهر آثارها وعواقبها في الأشهر المقبلة. التأثير الأول والأكثر وضوحا من بين هذه الآثار، هو الاحتياجات متعددة الأبعاد للمواطنين المتضررين بشكل مباشر من الزلزال. فبحسب تقديرات الأمم المتحدة، فإن أكثر من13.5 مليون شخص تضرروا بشكل مباشر من هذه الكارثة، كما فقد الكثير من الناس منازلهم. وأصبح بعض هؤلاء الأشخاص مهاجرين داخل بلدهم، حيث بدأوا في التوجه نحو مناطق الأناضول الأكثر تحصنا وأمانا. وبالإضافة إلى مشكلة الهجرة الداخلية وتقديم المساعدات الطبية اللازمة، فإن الحكومة تحتاج إلى تصليح وترميم الطرق، حيث تدمرت وانهارت العديد من طرق النقل البري والسكك الحديدية بشكل كامل، أو تضررت بشكل كبير بسبب الهزات الأرضية. على سبيل المثال، تسبب تدمير مطار هاتاي وعدد من مستشفيات المحافظات والبلدات والقرى، وحتى تدمير مبنى رئاسة إدارة الكوارث والطوارئ (آفاد)، في مشاكل فيما يتعلق بإيصال المساعدات إلى المتضررين بشكل سريع في الأيام الأولى من الكارثة.

ويؤدي الدمار الكبير في جودة الطرق إلى مشاكل بعيدة المدى فيما يتعلق بالنقل والمواصلات، حيث أنها لا تشمل فقط توزيع المواد الغذائية والأدوية والملابس الثقيلة على المناطق المتضررة، بل تتسبب في مشكلة البنية التحتية. على سبيل المثال، قال السكان المحليون إن نقص المياه الصالحة للشرب وتدمير البنية التحتية لشبكات الصرف الصحي يزيد من تعقيد الحياة اليومية التي هي بالفعل صعبة، كما تزيد من سوء الظروف الصحية للمتضررين من الزلزال. ويمكن أن تشكل رائحة مجاري الصرف الصحي المدمرة في بعض الأماكن مخاطر إضافية على الصحة والاقتصاد والأمن. ويلفت خبراء بعض المنظمات الإنسانية الانتباه إلى أن بعض الحالات الوبائية قد تحدث في حالة تلوث الأنهار الإقليمية والخزانات ومياه السدود، والتي تعتبر ذات أهمية استراتيجية وتقع في منطقة جنوب شرق الأناضول في تركيا.

وإضافة إلى ذلك، وعلى الرغم من تسبب الدمار ومشاكل النقل وبعض مشاكل مياه الشرب بعد كارثة الزلزال في مشاكل في المناطق المنكوبة، إلّا أن المؤسسات الحكومية والمسؤولين ومنظمات المجتمع المدني في تركيا كثّفت جهودها لتضميد الجراح، بعد الصدمة والمشاكل التي تعرضت لها المناطق عقب حدوث الزلزال مباشرة. وبحسب الجهات المعنية في الأمم المتحدة، اتخذت كل من الجهات الفاعلة المحلية والدولية على حد سواء خطوات فعّالة وتعاونت لمكافحة مشكلة نقص الغذاء الذي قد يحدث في مناطق الزلزال. وفي هذا السياق، قدمت نحو

100 دولة من مختلف أنحاء العالم مساعدات إنسانية للمواطنين الأتراك. وسيتعين على تركيا التي تعتبر إحدى الدول المانحة الرئيسية للعمل الإنساني على المستوى العالمي، أن تعيد النظر في مشاريعها الخارجية المخطط لها، وهذه المرة ستتوجه أكثر إلى تقديم الاحتياجات الضرورية إلى مواطنيها بسبب الزلزال. كما تعد اليوم تركيا واحدة من الدول الرئيسية المستضيفة للاجئين القادمين من الشرق الأوسط، لكن الزلازل والحروب والأزمات المختلفة في البلدان المجاورة قد تؤدي إلى بعض التغييرات في السياسة التركية بشأن مسألة الهجرة، التي هي أصلًا موضوع نقاش سياسي ومجتمعي داخل البلد منذ فترة. على سبيل المثال، من المحتمل أن يتم تخفيض الدعم الوطني للمهاجرين الأجانب بشكل جزئي. ويمكن أن تؤثر هذه الخطوة بشكل كبير على الوضع الإنساني في المنطقة، لا سيما في سوريا.

تفاقم الأزمة في سوريا بعد الزلزال

لم تكن العواقب والكارثة التي تعرضت لها سوريا بسبب الزلزال الذي ضربها أقل مما كانت عليه في تركيا، على الرغم من صغر المساحة الجغرافية المنكوبة. مما يزيد الوضع تعقيداً في سوريا، هذا البلد الذي يشهد حالة حرب أهلية طويلة منذ عام 2011, وأن هناك صراعات مستمرة وتدخلات أجنبية في مناطقها المختلفة منذ عام 2015. ويعتبر نفوذ حكومة بشار الأسد محدوداً للغاية من الناحية السياسية والإدارية على المحافظات الشمالية التي تضررت أكثر من غيرها بسبب الزلازل، وفي الواقع لا تستطيع دمشق أن تسيطر على جزء كبير من هذه المناطق منذ سنوات. ولهذا السبب، من الصعب جدا إجراء تقييم مناسب لعواقب الزلزال في سوريا، لعدم وجود سلطة دولة وآليات فعالة كما هو الحال في تركيا. جدير بالذكر أن حكومة دمشق وافقت على دخول مساعدات إنسانية دولية إلى محافظة إدلب ومحافظات أخرى في شمال غرب البلاد، بعد فترة من الوقت، لوجود بعض خلافات مع بعض الأطراف. وبعد ذلك، تم القيام بعمليات بحث وإنقاذ محدودة في هذه المناطق. والسبب الرئيس لهذا التأخير والعقبات الأخرى، هو العقوبات الدولية المفروضة على نظام بشار الأسد، وسياسات نظام الأسد، ومواقف الدول المختلفة تجاه الصراع السوري. وبسبب اختلاف المواقف السياسية على وجه التحديد، قررت بعض الدول الغربية عدم إرسال فرق بحث وإنقاذ إلى سوريا، وتحملت القوات الموالية للأسد المتمركزة في سوريا والمؤسسات التابعة للأمم المتحدة العبء الأكبر في عمليات البحث والإنقاذ هناك. وبحسب سياسيين سوريين ومتحدثين باسم الأمم المتحدة، هناك نقص واضح في المعدات الضرورية لفرق البحث والإنقاذ، والمواد الغذائية والملابس اللازمة بشكل عاجل للسكان المتضررين.

تعتبر الأجزاء الشمالية الغربية في سوريا بشكل عام، أماكن يهرب منها الكثيرون بسبب الحرب منذ سنوات. حيث ساهم القصف المستمر والصراعات المستمرة في تحويل هذه الأماكن إلى مناطق باردة لا يمكن تدفئتها كما تواجه نقصاً كبيراً في المواد الغذائية. وأدت البنية التحتية المدمرة في سوريا إلى إصابة آلاف الأشخاص بوباء الكوليرا في الأشهر الأخيرة، كما أصبحت المستشفيات التي دمرتها الحرب تفتقر إلى الأدوية اللازمة والأطباء الذين يجب أن يقدموا الرعاية الطبية. كما تتجلى تداعيات الحرب الأهلية بكل وضوح في الاقتصاد الوطني الذي لم يتمكن من التعافي وبالكاد قادر على تلبية احتياجات المناطق الخاضعة لسيطرة دمشق. وبحسب مراقبين دوليين، فإن معظم السوريين في مناطق الزلزال يعيشون الآن في خيام. وحتى في المدن الكبرى، هناك ضعف في إمدادات الكهرباء ونقص في مياه الشرب النظيفة. بالإضافة إلى ذلك، فإن وباء الكوليرا الذي انتشر في سوريا العام الماضي، أصاب أكثر من 60 ألف مواطن. وربما يؤدي تدهور الأوضاع الإنسانية الصعبة بالفعل هذا العام، إلى انتشار أوبئة جديدة. وفي مثل هذه الأجواء من الفوضى، تم الإبلاغ عن مئات حالات النهب والسرقة التي جرت في الأيام الأولى للزلزال الكبير، واعتقلت الشرطة السورية المشاركين في هذه الأحداث على الفور. وبحسب تقرير أعده مراسلو قناة بي بي سي، فقد تدمرت بعض السجون الواقعة على الحدود السورية التركية جراء الزلزال، وبالتالي تمكن بعض عناصر تنظيم داعش الإرهابي من الفرار. ومع هذا الأمر إلى جانب المشاكل الاجتماعية الاقتصادية الأخرى وضعف الأوضاع

السياسية، فقد تدهور الوضع الأمني في المنطقة وتظهر هناك تهديدات جديدة. حتى أن هناك مخاوف من عودة ظهور نفوذ تنظيم داعش في سوريا مرة أخرى.

إن من الصعب وصول مساعدات إلى المنطقة بسبب الصراعات المستمرة في شمال سوريا، بخلاف المساعدات الدولية المحدودة المقدمة للبلاد. وهذا هو السبيل الوحيد لإيصال المساعدات الإنسانية إلى البلاد، حيث لم يكن هناك اتفاق سياسي دولي حول ممرات أخرى. على سبيل المثال، لطالما ناقشت روسيا التي تعتبر حليفة لنظام الأسد، شرعية آلية هذا الممر. علاوة على ذلك، فقد تعرض الممر إلى أضرار بالغة خلال الكارثة وتقلصت كفاءته بشكل كبير. باختصار، يمكن وصف القضية السورية بأنها بالفعل "كارثة داخل كارثة موجودة أصلاً" أو "حالة طوارئ داخل حالة طوارئ". ولا تزال هذه الأرض موقعا لنزاعات دولية وصراعات محلية لا نهاية لها. وانطلاقا من كل هذا، فإن عدم وجود توافق، يجعل الأمر بعيدا كل البعد فيما يتعلق بتقديم إسهامات إيجابية للتغلب على الكارثة الإنسانية الوشيكة واسعة النطاق.

وفي النتيجة، تسبب الزلزالان اللذان ضربا تركيا وسوريا في تحرك صفيحة الأناضول بنحو 3 أمتار. وألحق هذا الأمر أضرارا جسيمة بالسكان وآليات عمل الدولة والنظام البيئي، وأدى إلى عواقب متسلسلة. حيث ارتفع منسوب مياه النهر على الحدود التركية السورية بعد أيام قليلة من الكارثة، مما تسبب في بعض الفيضانات. وبحسب علماء الزلازل، يمكن أن تتكرر الهزات في مناطق أخرى في وقت قصير. لكن خبراء صندوق النقد الدولي (IMF) يتوقعون أن يتعافى الاقتصاد التركي بسرعة، بغض النظر عن جائحة كورونا وتداعيات الحرب الروسية الأوكرانية وأزمة الطاقة والغذاء العالمية. أما التوقعات بشأن سوريا فتبدو أكثر تشاؤما، لأن التعافي الاقتصادي لها غير متوقع في المستقبل القريب بسبب مجموعة من المشاكل الداخلية والخارجية. كل هذه الأمور يمكن أن تؤدي إلى مرحلة اختبارات إنسانية وجيوسياسية جادة ستؤثر على سياسات البلدين. وفي الوقت نفسه، لو أخذنا بعين الاعتبار حجم المأساة وآثارها، فقد أرسلت العديد من البلدان المساعدات الممكنة إلى المناطق المتضررة من الزلزال المدمر، وبذلك تغلبت على المشاكل الشخصية من خلال التكاتف القوى التي أظهرته في هذه المحنة على الرغم من وجود خلافات سياسية. بعبارة أخرى، سيتم تناول تداعيات هذه الكارثة لفترة طويلة وتحليلها من قبل خبراء وتوضيحها من قبل السياسيين، لكن الأزمة الإنسانية الإقليمية المستمرة لاسيما بسبب سوريا، فلا يمكن التغلب عليها إلا بجهود دولية جيدة التنسيق. ■

* تم نشر هذه المقالة باللغة التركية في العدد 123 من مجلة تحليلات الشرق الأوسط التي تصدر عن مركز أورسام.

كيريل ستورماك: باحث من أوكرانيا، يدرس حاليا الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية في جامعة اسكي شهير غازي عثمان في تركيا.

دبلوماسية الكوارث وأثرها في العلاقات الدولية: زلزال تركيا أنموذجا

زيد عبد الوهاب الأعظمي

قد تجد الكثير من الدول في تلك الأجواء فرصة سانحة لتعزيز أواصر العلاقات مع تلك البلدان من خلال المبادرات والمساعدات المقدمة، لاسيما الدول التي تعاني من توترات بين الحين والآخر، فربما تصبح تلك الأزمات والكوارث أرضية جيدة للتلاقي على مسرح بعيد نسبيًا عن المسرح السياسي المعقد.

تمر الدول والنظم السياسية بأزمات إنسانية وكوارث طبيعية، تكون ملزمة في ظلها إلى تحرك سريع لإنقاذ الضحايا وعلاج الجرحى وإعادة الإعمار، وتخفيف كافة أشكال الضرر، اجتماعياً واقتصادياً ونفسياً، وغيرها من تداعيات الكوارث والأزمات، فتنشط عدة مصطلحات عقب ظهور الأزمات مثل: دبلوماسية الأزمة، ودبلوماسية الكوارث، دبلوماسية الإغاثة، كسياق مغاير للمصطلحات الدبلوماسية التقليدية المتبعة في العلاقات الدولية ما بين النظم والجماعات والأفراد.

لم تعد النكبات قاصرة على الكوارث الطبيعية، مثل الحرائق والزلازل والبراكين والفيضانات والجفاف، بل شملت أيضا الانقلابات والحروب الأهلية وانتشار الأوبئة. ولذلك، تنوعت الأنشطة والأعمال التي يمكن أن تقوم بها الدول، والمساعدات التي تقدمها خلال تلك الكوارث، بهدف بناء علاقاتها مع الشعوب التي تكون أكثر حساسية خلال فترات الكوارث.

شهد العالم زيادة في معدل الكوارث الطبيعية، حيث تسارع الدول عادة في إبداء تعاطفها مع الدول المتضررة من تلك الكوارث على اختلافاتها، وخلافاتها، وتقوم بتقديم المساعدات النقدية والعينية وفرق الإغاثة.

يتزامن مع ذلك ظهور عدة مصطلحات تربط ما بين أنواع مختلفة من الدبلوماسية، وبين علاقات الدول وبعضها، سواء تلك التي تربطها ببعضها صراعات وتنافس، أو تحالفات وتكامل.

إن تنامي هذا النوع من الفعاليات الدبلوماسية في وقت الأزمات والكوارث، يتطلب تأهيل خبراء قادرين على إدارة عمليات التخطيط وتوظيف إمكانيات الدولة في تقديم المساعدة للدول المنكوبة، وتسهم في مساعدة المؤسسات على تخفيف الضرر في تداعيات ما بعد الكارثة.

يركز المفهوم الجديد -دبلوماسية الكوارث- في العلاقات الدولية، على كيفية تعامل أو تواصل فاعل الدولة "أ" مع الدولة "ب" أثناء حصول الكارثة أو النكبة، مثل الزلازل والحرائق وانتشار الأوبئة، لتقديم المساعدة والإغاثة الإنسانية، وتقديم الخبرة، والتكنولوجيا التي يمكن أن تقلل من آثار تلك الكارثة، أو تمنع وقوعها أو توقفها.

تعرضت تركيا لزلزال صُنف أنه الأعنف في تاريخها في 6 شباط/فبراير 2023, هزّ 10 محافظات ووصل أثره إلى أغلب دول الجوار التركي، وأشدها في سوريا، ونجم عنه خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات، وعلى أثر ذلك ردد وتداول العديد من الباحثين مصطلح "دبلوماسية الكوارث"، وكيف استطاعت تركيا أن تصبح مركز إغاثة عالمي مع العديد من الدول، حتى تلك التي لها خصومة أو برود معها، بسبب خلافات سياسية واستراتيجية في علاقاتها الدبلوماسية مع أنقرة.

قدمت الدول الكبرى والإقليمية بشكل عاجل مساعداتها لتركيا، وفي مقدمتها الولايات المتحدة وبريطانيا، ودول الاتحاد الأوروبي وعلى رأسها اليونان والسويد، فضلاً عن التضامن والدعم العربي والإقليمي مثل دول الأردن، مصر، الجزائر، وغيرها، من هنا يمكن ملاحظة أثر دبلوماسية الكوارث على علاقات تركيا بدول كانت تعيش حرباً إعلامية مع أنقرة حول ملفات خلافية عدة.

أعلنت وزارة الخارجية التركية أن الوزير مولود جاويش أوغلو أجرى 23 لقاءً وجها لوجه وأكثر من 70 اتصالاً هاتفياً مع مسؤولين رفيعي المستوى زاروا تركيا، واتصلوا للإعراب عن تضامنهم معها. وشملت قائمة الزائرين والمتصلين وزراء خارجية كل من اليونان وأرمينيا ومصر وألمانيا والسويد وإسرائيل والولايات المتحدة. وهي دول لم تكن علاقاتها الثنائية مع تركيا تخلو من المنغصات والخلافات، رغم أن بعضها يرتبط معها بعلاقات تحالف وصداقة.

خفضت "دبلوماسية الكوارث" وحجم المساعدات الإنسانية الدولية المقدمة من دول عدة إلى تركيا، من حدة التوترات والخلافات بين تركيا وقوى دولية وإقليمية، حول ملفات هامة كالعمليات العسكرية في سوريا والعراق، والموقف من الأزمة الأوكرانية الحالية، وتعليق الموافقة على انضمام السويد وفنلندا للناتو، ولكنها بالمقابل لم تجد حلًا للمشكلات الرئيسية العالقة ما بين تركيا وتلك البلدان، كما أن بعض المساعدات الإنسانية التي قُدمت للمنكوبين من جراء الزلزال لا تضاهي المساعدات العسكرية المليارية المقدمة لأوكرانيا في حربها مع روسيا، وهذه مفارقة تم تشخيصها في عديد المقالات والأبحاث.

يمكن وصف المساعدات العربية المالية والعينية والإغاثية المقدمة لتركيا من لدن قطر والسعودية والإمارات الكويت بأنها الأكثر فاعلية واستمرارية عن غيرها من المساعدات ودور شعوب تلك الدول فيها عبر الحملات الشعبية، ذلك لطبيعة العلاقات الجيدة التي تربط أنقرة مع تلك البلدان، وبلا شك كان الموقف القطري لافتا الذي لم يقف عند حد جسور الإمداد الجوي، بل تعداه إلى زيارة أمير قطر المعنوية للرئيس التركي واجتماعهما في اسطنبول لتقديم كامل الدعم قبالة هذه الأزمة الإنسانية.

إن المقاربة الإنسانية لبعض النظم السياسية ذات العلاقة المتوترة مع أنقرة، في مسألة التعاطي مع كارثة الزلزال المدمر في تركيا، فتحت الباب أمام تخفيف التوتر وإنشاء أرضية مشتركة، يمكن من خلالها بدء حوار ومفاوضات حول القضايا الخلافية أو العالقة. على الرغم أن دبلوماسية ما بعد الزلزال لا يمكن أن تكون بديلا عن تسوية القضايا الخلافية، لأنها تحتاج إلى المزيد من الحوارات الفاعلة وتنفيذ المصالح المتبادلة بين الأطراف المختلفة، كما أن زوال تأثير الكارثة الإنسانية سيعني عودة الخلافات السياسية إلى مكانها في سياق العلاقات الدولية والسياسات الخارجية للنظم.

نشاط الدبلوماسية الإنسانية بعد الكوارث ووصول مساعدات وفرق إنقاذ من دول مختلفة إلى المناطق المنكوبة، لا يحدث لأول مرة، ويعد أمرا طبيعيا في العلاقات الدولية. ومن المؤكد أنه يخفف حدة التوتر ويسهم في بقاء القنوات الدبلوماسية لحل المشاكل، إلا أن مصالح الدول القومية وقضاياها الكبرى لا تتأثر برسائل التعازي

والتضامن. ويمكن التعامل مع العلاقات التركية اليونانية أنموذجا لتعليق هذا التوتر مؤقتا، ولكن تبقى السياسات الخارجية التركية تجاه اليونان حازمة، ما لم تتراجع أثينا عن مزاعمها الباطلة في بحر إيجة والبحر الأبيض المتوسط، وما لم تتخل عن سياسة تسليح جزر إيجة التي تنص المعاهدات على إبقائها منزوعة السلاح وعدم استخدامها لأغراض عسكرية.

تعتبر تركيا في صدارة الدول السباقة في دبلوماسية الكوارث أو الإغاثة وذلك عبر وكالة التنمية والتعاون والتنسيق TIKA والهيئة الخيرية IHH، لتقديم الدعم الطبي والمساعدات الإنسانية للمتضررين في مختلف بؤر التوتر والكوارث بشتى أنواعها، وهو ما أهلها لأن تكون أول بلد متبرع في العالم سنة 2017, عبر تخصيص 0.75% من ناتجها الوطني الإجمالي لتمويل العمليات الإنسانية عبر العالم.

نجحت أنقرة في توظيف بنيتها الطبية القوية في خدمة أهدافها الدبلوماسية عبر مساعدة الدول المتضررة ذات الإمكانيات الصحية المتواضعة، وهو تكشف بشكل أكبر خلال جائحة كورونا، فكانت تركيا على رأس الدول التي قدمت مساعدات طبية وخدمات صحية لعشرات البلدان في شتى دول العالم. وحصدت أنقرة جهودها الدبلوماسية في إدارة الأزمات والكوارث خلال السنوات الماضية عبر أشكال عدة، منها تعزيز نفوذهما وحضورهما الإقليمي والدولي، فضلًا عن تجميل الصورة التقليدية ورسم صور مشرقة جديدة عن البلدين لدى العديد من الدول المستفيدة من هذا النوع من الدبلوماسية. للدبلوماسية وجوه كثيرة، فلم تعد ذلك النشاط التقليدي في علاقات الدول الخارجية، المعروف خطوط بداياته ومسارات النهاية، لكنها أصبحت مظلة كبيرة تضم تحتها العديد من الأدوات، من بينها تقديم العون زمن الكوارث والأزمات، ففي تلك الأثناء تكون الدول المكلومة في أمس الحاجة للدعم والمساعدات الخارجية لعبور مأزقها بسلام وفي أقصر وقت وبأقل الخسائر.

قد تجد الكثير من الدول في تلك الأجواء فرصة سانحة لتعزيز أواصر العلاقات مع تلك البلدان من خلال المبادرات والمساعدات المقدمة، لاسيما الدول التي تعاني من توترات بين الحين والآخر، فربما تصبح تلك الأزمات والكوارث أرضية جيدة للتلاقي على مسرح بعيد نسبيًا عن المسرح السياسي المعقد.

تعد دبلوماسية الكوارث من المصطلحات الحديثة نسبياً، والتي ليس لها تعريف جامع متفق عليه، بقدر ماهي مجال أكاديمي يبحث في آلية تعامل وتأثير الكوارث على العلاقات بين الدول. كما توصف بكونها "دبلوماسية تتحرى كيف ولماذا تؤثر الأنشطة المتعلقة بالكوارث على الصراع والتعاون". ومن ثم فإن دبلوماسية الكوارث معنية بكل أشكال النزاعات مع كل الأطراف وفي جميع الأوقات. ■

زيد عبدالوهاب الأعظمي: باحث من العراق، حاصل على الدكتوراه في العلوم السياسية. خبير في مركز دراسات الشرق الأوسط أورسام.

مواقف الدول الأفريقية تجاه محنة الزلزال في تركيا: الوفاء بالعهد

كآن دفجي أوغلو

هذا "الوفاء بالعهد" من الدول الأفريقية تجاه تركيا خلال محنة الزلزال، بالرغم من محدودية إمكانات تلك الدول، يعد نتيجة واضحة لإجراءات المساعدات الإنسانية التي قامت بها المنظمات الانسانية في تركيا، الحكومية والمدنية، على مدار الثلاثين عاما الأخيرة، وممارسات السياسة الخارجية التركية، التي تم إضفاء مفهوم "الدبلوماسية الإنسانية" عليها في السنوات الخمس عشرة الأخيرة.

تعد تركيا في مقدمة الدول التي تقدم المساعدات عبر الجهات الحكومية والمدنية في جميع الكوارث تقريبا التي وقعت في مختلف أنحاء العالم. وفي أعقاب الزلزالين الذين ضربا تركيا بقوة 7.7 درجة و7.6 درجة على مقياس ريختر، وكان مركزهما محافظة قهرمان مرعش وأثرا على 10 محافظات، حشدت الدول من مختلف أنحاء العالم بما في ذلك الدول الإفريقية، جهودها من أجل تضميد الجراح التي أصابت تركيا. هذا "الوفاء بالعهد" من الدول الأفريقية تجاه تركيا خلال محنة الزلزال، بالرغم من محدودية إمكانات تلك الدول، يعد نتيجة واضحة لإجراءات المساعدات الإنسانية التي قامت بها المنظمات الانسانية في تركيا، الحكومية والمدنية، على مدار الثلاثين عاما الأخيرة، وممارسات السياسة الخارجية التركية، التي تم إضفاء مفهوم "الدبلوماسية الإنسانية" عليها في السنوات الخمس عشرة الأخيرة. وفي هذا السياق، تم وصف تركيا من خلال أنشطة الدبلوماسية الإنسانية التي قامت بها في مختلف أنحاء العالم في السنوات الأخيرة، بأنها "فاعل إنساني" يجب تقليده. ومما لا شك فيه أن معظم الأمثلة

الرائعة لممارسات الدبلوماسية الإنسانية لتركيا في السياسة العالمية في سياق هذا الوصف، هي الأنشطة التي تقوم بها الجهات الفاعلة الحكومية والمدنية التركية في البلدان الإفريقية. لذلك قدمت الدول الإفريقية الدعم أيضاً في حدود إمكانياتها في الفترة الصعبة التي تمر بها تركيا اليوم.

نهج الدبلوماسية الإنسانية الذي تتبعه تركيا تجاه إفريقيا

لو تناولنا هذا الأمر في سياق نهج الدبلوماسية الإنسانية، سنرى أنه عندما انهار الاتحاد السوفييتي، وتحوّل النظام الدولي إلى هيكل أحادي القطب، انتقلت تركيا في سنوات التسعينات إلى مرحلة سياسية جديدة بشأن تعاملها مع مناطق النفوذ التركية القديمة، من منظور واسع يمتد من إفريقيا إلى آسيا الوسطى، ومن البلقان إلى الشرق الأوسط. وتحوّلت هذه الفكرة إلى واقع ملموس من خلال استراتيجيات الانفتاح على إفريقيا وأمريكا اللاتينية التي تم طرحها في عام 1998، ثم تم وضع هذه الفكرة في إطار طابع مؤسساتي، عبر الاتفاقيات الموقعة خلال الزيارات المتبادلة رفيعة المستوى. ومع بروز السياسات المذكورة أعلاه في السياسة الخارجية التركية، أصبحت تركيا أكثر ظهورا في النظام الدولي من خلال وساطتها في النزاعات، والمساعدات الإنسانية

والإنمائية التي تقدمها. وفي هذا الإطار، فإن صناع السياسة الخارجية التركية مع دخول نظام العلاقات الدولية خلال السنوات الأخيرة في مرحلة تغيرات وتحولات مختلفة، أصبحوا ينفذون استراتيجية سياسة خارجية "مبادرة وإنسانية" قائمة على القيم الوطنية التركية في ظل الظروف الراهنة وتعتمد المبدأ الرئيسي "السلام في الوطن، السلام في العالم".

إن مفهوم الدبلوماسية الإنسانية لدى تركيا، هو نهج سياسة خارجية تركز على الإنسان وتعبّر عن التوازن بين الضمير والقوة وتستوعب داخلها القيم والمصالح الأساسية للدولة. وانطلاقا من هذا الفهم، تهدف تركيا إلى الجمع بين هذا المنظور الشامل الذي يغطي جميع الأنشطة الإنسانية، وتوازن المثالية والواقعية بالمعنى النظري، على أرضية مشتركة.

وبالإضافة إلى تقديم تركيا نهجا مثاليا؛ فهي تسعى جاهدة لنقل مصالحها الوطنية إلى المستوى القياسي من خلال فعاليات الدبلوماسية الإنسانية. وفي هذا السياق، يعتبر منظور الدبلوماسية الإنسانية لتركيا ضمن نطاق ما يسمى بجغرافيا القلوب (المناطق المقربة من تركيا)، انعكاسا لهوية "الفاعل الإنساني" المتنامية في إفريقيا. في الحقيقة، يتمتع موقع تركيا كفاعل إنساني في القارة الإفريقية بنوعية فريدة يتجاوز المنظور الأمني والتجاري للجهات الفاعلة الأخرى.

تعتمد تركيا نهج دبلوماسية إنسانية تجاه إفريقيا تختلف فيه القدرات المالية للدولة وفقا لمستوى علاقاتها مع البلد المراد مساعدته. وفي هذا السياق، قدمت تركيا مساعدات إنسانية وتنموية نقدية وعينية من أجل مكافحة مشاكل مثل المجاعة والجفاف والفقر والأمراض الوبائية في إفريقيا. على سبيل المثال، أنشأت تركيا مستشفى في مدينة نيالا في السودان من أجل حل الأزمة الإنسانية التي حدثت بعد الحرب الأهلية في ولاية دارفور السودانية. كما تبرعت بمساعدات طبية قدرها 8 أطنان ونصف الطن من الأدوية منذ عام 1999 إلى دولة جزر القمر, التي تعاني من المجاعة والفقر. بالإضافة إلى ذلك, شاركت تركيا في العديد من برامج المساعدات الإنسانية التي تم تنظيمها بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة. وكان نحو 50% من المساعدة الإنمائية الرسمية لتركيا خلال الأعوام 2013 و2014 و2015 في مجال المساعدات الإنسانية, وتم وصف تركيا بأنها "دولة مانحة صاعدة". وفي هذا السياق, لو أخذنا بعين الاعتبار مقدار المساعدات الإنسانية التركية مقارنة بالدخل القومي, فإن تركيا تحتل المرتبة الأولى عالميا, أمّا في إجمالي حجم المساعدات المقدمة فهي تأتي في المرتبة الثالثة بعد الولايات المتحدة وبريطانيا. ووفق نفس المؤشرات, احتلت تركيا المرتبة الأولى بين البلدان التي قدمت أكبر مساعدات في عامي 2016 و2017, فيما احتلت المرتبة الأولى في عام 2018. وفي هذا الصدد, قدمت تركيا 783 مليون دولار مساعدات إلى إفريقيا عام 2013, بينما انخفض هذا الرقم إلى 150 مليون دولار في عام 2017. ولذلك، بالإضافة إلى المبادرات العامة مثل وكالة التعاون والتنسيق التركية (تيكا)، والهلال الأحمر التركي، والفريق الوطني التركي للإنقاذ الطبي (أومكا)، ووقف الديانة التركي، فإن تركيا

تواصل تنفيذ مشاريع المساعدات الإنسانية في إفريقيا مع العديد من منظمات المجتمع المدني.

الدول الإفريقية والوفاء بالعهد إلى تركيا

اهتم الأتراك على مر التاريخ ببناء جسور صداقة في مناطق مختلفة من آسيا وأوروبا وإفريقيا. حيث أن عدم نسيان اليد الممتدة للعون والمساعدة في الأوقات الصعبة تعتبر إحدى السمات الأساسية للإنسان التركي منذ القدم. ولا تعد ظاهرة تقديم المساعدة واجبا دينياً في الإسلام فحسب، بل هي أيضا انعكاس للسلوك الإنساني العالي الذي يجب أن يكون. على سبيل المثال، كافحت الدولة العثمانية ضد احتلال المستعمرين للقارة الإفريقية لنحو 500 عام، وسارعت الشعوب العريقة في دول إفريقيا للمساعدة في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، في الحرب العثمانية الروسية وحرب طرابلس وحرب الدردنيل. وفي هذا الإطار، فإن العديد من الأبطال الأفارقة الذين انضموا من المنطقة إلى صفوف الجيش العثماني وحاربوا معه سطروا ملاحم تاريخية يشهد لها التاريخ، وها هي الدول العريقة في هذه القارة تظهر وفاءها بالعهد إلى تركيا اليوم، من خلال دعمها المادي والمعنوي، من أجل تضميد الجراح التي تسبب فيها زلزال قهرمان مرعش.

جدير بالذكر أن عشرات آلاف الأشخاص لقوا حتفهم تحت أنقاض آلاف المباني التي دمرها الزلزالان الكبيران اللذن وقعا في 6 فبراير/ شباط 2023 في محافظة قهرمان مرعش التركية, كما أصيب مئات الآلاف جراء الزلزالين. وعلى إثر ذلك, حشدت أكثر من مئة دولة من مختلف أنحاء العالم جهودها من أجل مساعدة تركيا, وأطلقت السلطات الرسمية ومنظمات المجتمع المدني في البلدان الإفريقية حملات مساعدة من أجل تركيا. وفي هذا الصدد, كانت ليبيا والسودان والجزائر والسنغال ومصر وجنوب إفريقيا وموريتانيا والمغرب وبوروندي وزيمبابوي, من أوائل الدول الإفريقية التي قدمت المساعدات إلى تركيا. وقد وفرت هذه الدول مساعدات مادية وخبراء وفرق بحث وإنقاذ محترفة كل في حدود إمكانياته. على سبيل المثال؛ أرسلت الجزائر89 شخصا وجنوب إفريقيا 69 شخصا وليبيا 55 شخصا وتونس 41 شخصا والسودان 40 شخصا والسنغال 30 شخصا, بينهم أطباء وموظفو صحة وفرق بحث وإنقاذ. بالإضافة إلى ذلك, فإن عشرات الدول الإفريقية التي تعاني من الحروب الأهلية والإرهاب والفقر قدمت أيضا الدعم إلى تركيا, بعضها ماديا وبعضها معنويا, في حدود إمكانياتها. كما أن قسما من بين 60 ألف طالب وطالبة ممن جاءوا من العديد من البلدان الإفريقية للتعليم على مستويات مختلفة في تركيا، بادروا وشاركوا في أنشطة المساعدة.

وفي النتيجة، فإن الزلزال الذي ضرب تركيا وكان مركزه قهرمان مرعش في 6 فبراير/ شباط 2023 ويعتبر أحد أكبر الكوارث المدمرة في التاريخ, ساهم في إحراز تقدم كبير في العلاقات الثنائية من خلال "الوفاء بالعهد" الذي أظهرته المجتمعات الإفريقية تجاه الجمهورية التركية كما فعلت في مرحلة تاريخية سابقة. ولذلك, يمكن القول إن يد "المساعدة الإنسانية" التي مدّها المجتمع التركي إلى الدول الإفريقية في الثلاثين عاما الأخيرة وسياسة "الدبلوماسية الإنسانية" التي تم إضفاء الطابع المؤسساتي عليها في فترة ما بعد 2005، قد ساهمت بشكل كبير في بناء جسور الصداقة. ■

* تم نشر هذه المقالة باللغة التركية في العدد 123 من مجلة تحليلات الشرق الأوسط التي تصدر عن مركز أورسام.

كان دفجي أوغلو: باحث من تركيا, حاصل على الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية من جامعة يلدريم بيازيد في أنقرة, يدرس الدكتوراه في العلاقات الدولية في جامعة اسطنبول الحضارية, يعمل حالياً خبير في قسم الدراسات الأفريقية في مركز أورسام.

بين زلزال تركيا والزلازل في أفريقيا

فولكان إيبك

أفاد الخبراء أن صفيحة الأناضول تحركت بمقدار ثلاثة أمتار تجاه صفيحة إفريقيا بعد وقوع زلازل الشهيد كامل وإكينوزو. في الحقيقة, يمكن وصف حركة صفيحة الأناضول تجاه صفيحة إفريقيا بقصة العودة إلى الوطن. حيث كان هذا اللوح التي تقع عليها أراضي الأناضول داخل صفيحة إفريقيا قبل 100 مليون عام, أي أن الأناضول كانت في الواقع جزءاً من إفريقيا.

يطلق اسم متلازمة يوم الإثنين على القلق والتوتر بشأن بداية أسبوع جديد بعد انقضاء عطلة نهاية الأسبوع التي تتكون من يومي السبت والأحد. هذه المتلازمة التي تبدأ عادة مع غروب شمس يوم الأحد، يمكن أن تستمر في بعض الأحيان حتى بعد ظهر يوم الإثنين، وغالبا ما تنتهي مساء الإثنين. ويمكن أن تؤدي متلازمة الإثنين إلى بعض الاكتئابات المختلفة. وتحولت متلازمة يوم الإثنين التي تظهر مع بداية الأسبوع الجديد، إلى ألم يوم الإثنين، مع الزلزال الذي وقع في بلدة "الشهيد كامل" في محافظة غازي عنتاب التركية بقوة 7.8 درجة على مقياس ريختر واستمر لمدة 100 ثانية, في تمام الساعة 4.17 في الليلة التي تربط يوم الأحد 5 فبراير/ شباط 2023 مع يوم الإثنين 6 فبراير/ شباط 2023. وتفاقم ألم يوم الإثنين أكثر وأكثر مع الزلزال الثاني بقوة 7.5 درجة على مقياس ريختر الذي وقع في منطقة "إكينوزو" في محافظة قهرمان مرعش في الساعة 13:20 في 6 فبراير/ شباط 2023 واستمر لمدة 45 ثانية. ونتيجة لهذين الزلزالين لقي ما يقرب من 45000 شخص في 11 محافظة تركية

ونحو 6500 شخص في شمال سوريا مصرعهم, وأصيب نحو 125000 شخص. وأسفرت زلازل الشهيد كامل وإكينوزو التي وصفت بأنها أكبر كارثة في تاريخ الجمهورية التركية من حيث عدد الضحايا, عن تدمير أكثر من 6500 مبنى.

تفاعل الأناضول وقارة إفريقيا

أفاد الخبراء أن صفيحة الأناضول تحركت بمقدار ثلاثة أمتار تجاه صفيحة إفريقيا بعد وقوع زلازل الشهيد كامل وإكينوزو. في الحقيقة، يمكن وصف حركة صفيحة الأناضول تجاه صفيحة إفريقيا بقصة العودة إلى الوطن. حيث كان هذا اللوح التي تقع عليها أراضي الأناضول داخل صفيحة إفريقيا قبل 100 مليون عام, أي أن الأناضول كانت في الواقع جزءاً من إفريقيا. واستغرق انفصال الصفيحة عن إفريقيا ووصولها إلى موقعها الحالي 50 مليون عام. وكان البحر الأبيض المتوسط يفصل بين الأناضول وإفريقيا بشكل واضح قبل 50 مليون عام. ولكن الصفيحة السفلية التي تقع عليها شبه الجزيرة العربية قامت بدفع الصفيحة السفلية التي تقع عليها سوريا وإسرائيل والأردن والعراق وإيران قبل 25 مليون عام, وبذلك شكلت رابطا بريا بين الأناضول وإفريقيا. ويمكن لزلزال عام 2023 الذي ضرب الأناضول التي كانت تعتبر في الأصل جزءا من إفريقيا, أن يشكل بالطبع نموذجا للزلازل التي حدثت في إفريقيا الأصل. بدأ قياس الزلازل بشكل علمي في القارة الأفريقية في عام 1884, ومنذ ذلك العام حتى عام 2022, وقع 45 زلزالا في 11 دولة أفريقية. وحدث أكبر تلك الزلازل قوة في موزمبيق في عام 2006, وبلغت قوته 7 درجات على مقياس ريختر, وأخفها حدث في تنزانيا بقوة 4.4 درجة في عام 2017. أما الزلزال الذي تسبب في أكبر عدد من القتلى فكان بقوة 6.3 درجة في غينيا عام 1983, والزلزال الذي تسبب في أكبر عدد من الإصابات فكان بقوة 6.8 درجة في رواندا عام 1966. أما الدولة التي تعرضت إلى أكبر عدد من الزلازل فهي جمهورية الكونغو الديمقراطية, حيث وقع فيها 10 زلازل، فيما تعتبر غينيا وموزمبيق الأقل بزلزال واحد.

تاريخ الزلازل وآثارها في منطقة جنوبي الصحراء الأفريقية

وقع أول زلزال في جنوبي الصحراء الأفريقية في الفترة بين عامي 1884 – 2022, في إريتريا عام 1913. وبلغت

قـوة هـذا الـزلـزال 6.3 درجـة على مقياس ريختر, وتسبب في مقتل 18 شخصا وإصابـــة 100 آخـرين. أما الزلزال الثاني الذي ضرب البلاد فكان بقوة 5.8 درجة في عام 1915, وأدى إلى مـقـتـل 24 شخصا وإصابـــة 72 آخرين. ووقع زلزال ثالث في إريتريا في عام 1921 وبلغت قوته 6.1 درجة في عام 1921, ولم يتسبب هذا الزلزال في سقوط قتلى أو إصابات. وكان عدد المباني المدمرة جراء هذه الزلزال قليلا, بسبب المهارات الـهـنـدسـيـة الـقـوية للإيطاليين الذي كانوا يحكمون البلاد في تلك الفترة. ويمكن رؤية المباني التي بناها الإيطاليون الذين دخلوا البلاد في عام 1880 بشكل مثالي تقريبا في العاصمة أسمرة اليوم. ولم تتعرض هذه المباني إلى دمار حتى في الزلزال الـذي تسبب فيـه بـركـان نـابـرو الـذي انـفـجـر في قـاع الـبـحـر الأحـمـر نـتـيـجـة زلزال عام 2011, لكن لقي 7 أشخاص مصرعهم وأصيب 31 آخرون في موجة التسونامي التي حدثت نتيجة انفجار بـركـان نـابـرو. وكـان هـنـاك زلـزال آخـر وقع في إثيوبيا عام 1921. ولقي 118 شخصا مصرعهم وأصيب 242 آخرون نتيجة لهذا الزلزال الذي بلغت قوته 5.9 درجة. ولم يقع أي زلزال آخر في جنوبي الصحراء الأفريقية بعد زلزالي إريتريا وإثـيـوبـيـا في عـام 1921, حـيـث تعرضت بوتسوانا إلى زلزال في عام 1952 بـقـوة 6.7 درجـة على مـقـيـاس ريختر وأودى بحياة 18 شخصا.

بـــالإضـافـــة إلى ذلك، كـــانت أعـــوام الستـيـنـيـات في الـقـرن الماضي فترة الزلازل في جنوبي الصحراء الأفريقية. حيث تـعـرضت جـمـهـورية الـكـونـغـو الـديـمـقـراطـيـة إلى زلـزالين بـقـوة 6.3 و6.5 درجة على التوالي في عام 1960, لكن لم تقع خسائر في الأرواح. وفي عـام 1961, تسبب زلـزال بـقـوة 6.5 درجة في إثيوبيا في مقتل 38 شخصا وإصابة نحو 1000 آخرين. أما في عام 1964, فقد وقع زلزال بقوة 6 درجات في تـنـزانـيـا وأدى إلى مـقـتـل شخص واحـد وإصابـة آخـر. وفي عـام 1966, لـقي 157 شخصا مصرعـهـم وأصيب 498 آخرون في زلزال بلغت قوته 6.8 درجـة في جـمـهـورية الـكـونـغـو الديمقراطية, ثم في نفس العام لقي 57 شخصا مصرعـهـم وأصيب 219 آخرون في الزلزال الذي بلغت قوته 6.8 درجة في رواندا. وانتهت موجة الـزلازل في الستـيـنـيـات بـزلـزال عـام 1969 في إثـيـوبـيـا بـقـوة 6.2 درجة, وأودى بحياة 40 شخصا وتسبب في إصابة 160 آخرين. وفي عام 1973 وقع زلزال بلغت قوته 5.9 درجة في إثيوبيا دون وقـــوع خسائـــر في الأرواح أو إصابات. وتعرضت غينيا في عام 1983 إلى زلـزال بـلـغـت قـوتـه 6.3 درجة وأودى بـحـيـاة 300 شخص وإصابـة 1500 آخرين, ويعتبر هذا الزلزال ثاني أكبر زلـزال مـن حـيـث الـخسائـر في إفـريـقـيـا جـنـوب الصحـراء. وفي عـام 1989, تسبب زلزال بقوة 6.3 درجة في مالاوي في مقتل 9 أشخاص وإصابة 100 آخرين. كما وقع زلزال بقوة 6.4 درجـة في جـمـهـورية الـكـونـغـو الديمقراطية في عام 1992, وأسفر عن مقتل 8 أشخاص وإصابة 137 آخرين. وشهدت منـطـقـة جـنـوبي الصحـراء الأفريقية موجة زلازل في العقد الأول مـن الـقـرن الـحـادي والـعشرين, مشابهة لموجة الستينيات. حيث وقع زلزال في تنزانيا بلغت قوته 6.5 درجة في عام 2000 دون وقوع خسائر في

الأرواح وبتسجيل 6 إصابات فقط, أما في الزلزال الذي بلغت قوته 5.5 درجة في عام 2002 في تنزانيا أيضا, فلقي شخصان مصرعهما وأصيب 300 آخرون, كما وقع زلزال بقوة 6.2 درجة في جمهورية الكونغو الديمقراطية وأودى بحياة شخصين إثنين, دون تسجيل أي إصابات. وفي عام 2005, لقي 6 أشخاص مصرعهم في الزلزال الذي بلغت قوته 6.8 درجة في جمهورية الكونغو الديمقراطية, فيما قتل 44 شخصا في الزلزال الذي بلغت قوته 5.9 درجة في عام 2008 في نفس البلد. وفي عام 2006, تعرضت موزمبيق لأقوى زلزال شهدته منطقة إفريقيا جنوب الصحراء. حيث وقع زلزال بلغت قوته 7 درجات على مقياس ريختر, أودى بحياة 4 أشخاص وتسبب في إصابة 36 آخرين. فيما تعرضت مالاوي عام 2009 إلى 4 زلازل في 13 يوما. حيث وقع زلزال بقوة 5.8 درجة في 6 ديسمبر/ كانون الأول, وزلزال بقوة 5.9 درجة في 9 ديسمبر/ كانون الأول, وزلزال بقوة 5.4 درجة في 13 ديسمبر/ كانون الأول, وزلزال بقوة 6 درجات في 19 ديسمبر/ كانون الأول. ولقي 4 أشخاص وأصيب 82 آخرون جراء هذه الزلازل.

كما تعرضت دول جنوبي الصحراء الأفريقية إلى عدد من الزلازل في العقد الثاني أيضا من القرن الواحد والعشرين. حيث لقي 238 شخصا مصرعهم في زلزال وقع في إثيوبيا في عام 2010 وبلغت قوته 5.1 درجة. أما في عام 2015, فقد تسبب زلزال بقوة 5.8 درجة في جمهورية الكونغو الديمقراطية في مقتل 3 أشخاص وإصابة 30 آخرين. وتعرضت تنزانيا إلى ثلاثة زلازل في الفترة بين عامي 2016 - 2019. حيث لقي 23 شخصا وأصيب 252 آخرون في الزلزال الذي وقع بقوة 5.9 درجة في عام 2016. أما في الزلزال الذي بلغت قوته 4.4 درجة في عام 2017, فقد توفي شخص واحد وأصيب 18 آخرون. فيما لقي شخص واحد حتفه وأصيب 25 آخرون, في الزلزال الذي بلغت قوته 5.5 درجة في عام 2019. وفي عام 2021, تعرضت تنزانيا إلى زلزال بقوة 4.8 درجة وتسبب في إصابة شخص واحد فقط, فيما تعرضت جمهورية الكونغو الديمقراطية إلى زلزالين كان أحدها بقوة 5 درجات وتسبب في مقتل شخصين وإصابة 10 آخرين, أما الثاني فكان بقوة 4.7 درجة وأدى إلى مقتل شخص واحد. ولم تتعرض منطقة إفريقيا جنوب الصحراء إلى أي زلازل في عام 2022, فيما كان آخر زلزال في عام 2023 في هذه المنطقة, هو الزلزال الذي وقع في تنزانيا في 17 فبراير/ شباط الماضي بقوة 4.3 درجة ولم يسفر عن أي خسائر في الأرواح أو إصابات.

تعرضت القارة الإفريقية التي كانت تضم الأناضول بداخلها قبل 100 مليون عام, إلى الزلازل بشكل مكثف في فترة الستينيات والعقد الأول من القرن الحادي والعشرين. وكان متوسط القتلى 38 شخصا ومتوسط الإصابات 59 شخصا في 35 زلزالا بمتوسط شدة 6.3 درجة على مقياس ريختر, وقعت في الفترة بين عامي 1884 - 2023. وكانت مراكز معظم هذه الزلازل في البحر, وكانت العديد من البيوت في تلك الفترة لاسيما في الستينيات مبنية بنظام طابق واحد، وتبنى من القرميد أو الطين أو القش وليس الأسمنت، كما أن خطوط الصدع الزلزالي الموجودة في القارة الإفريقية تبدأ من مصر في شمال إفريقيا وتمتد بخط واحد من شرق إفريقيا إلى جنوب إفريقيا، وتضم الدول في جنوب القارة الإفريقية مثل تنزانيا ورواندا وموزمبيق وإريتريا وبوتسوانا وإثيوبيا. وكان من المثير للاهتمام، وقوع زلزال بقوة 6.3 درجة في غينيا الواقعة غرب القارة الإفريقية على الرغم من عدم وقوعها على أحد خطوط الصدع الزلزالي. وعلى الأرجح، كان سبب الزلزال، هو تحرك الصفائح التكتونية في المحيط الأطلسي التي تقع عليه غينيا. وأينما وقعت هذه الزلازل، فقد أظهرت لنا أن جودة الخرسانة المستخدمة في البنايات تؤثر بشكل كبير على حياة الناس الذين يعيشون في تلك المباني. وفي حين كان عدم استخدام الخرسانة بشكل كبير خارج مراكز المدن في مناطق مثل جنوبي الصحراء الأفريقية يعتبر ميزة عند وقوع الزلزال، إلا أن الجودة الرديئة للخرسانة المستخدمة في المباني في محافظتي هاتاي وقهرمان مرعش تسببت في وفاة العديد من الأشخاص. نأمل ألا تتحول متلازمات يوم الإثنين إلى ألم يوم الإثنين مرة أخرى في أي بلد. ■

* تم نشر هذه المقالة باللغة التركية في العدد 123 من مجلة تحليلات الشرق الأوسط التي تصدر عن مركز أورسام.

فولكان إيبك: أكاديمي وباحث من تركيا مختص بالسياسة والمجتمع في أفريقيا، أستاذ مساعد دكتور في قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية بجامعة يدي تبه.

منطقة القرن الافريقي وتداعيات أزمة التغيرات المناخية

إبراهيم ناصر

يرى المراقبون لشؤون منطقة القرن الأفريقي أن إحتمالية تزايد الأزمات المترتبة على التغيرات المناخية على دول هذه المنطقة خلال السنوات القادمة واردة جداً. وقد تأخذ أطوار من الصراعات الجديدة بين المكونات المحلية, وقد يرتقي ذلك الى مستوى الحروب بين دول المنطقة.

بالرغم من أن التفسيرات العلمية لأسباب النزوح السكاني في قارة أفريقيا تشمل الاضطهاد السياسي، والأزمات الاقتصادية، والنزاعات المسلحة والحروب الأهلية، إلا ان التدهور البيئي بات من أهم دوافع حركة اللجوء على مستوى القارة، بسبب التصاعد الدراماتيكي لازمة تغير المناخ العالمي، والتي أخذت حيزاً كبيراً من جهود الاوساط العملية في إطاراتها البحثية، وخصوصاً تلك المتصلة بالتداعيات الاجتماعية لهذه الأزمة. كما أصبح مصطلح "لاجئي المناخ" من أكثر المصطلحات تداولاً في

الحقل الأكاديمي وبدأ يدرس في سياقات الدراسات الاجتماعية المختلفة. تعرف منطقة القرن الافريقي بوصفها أكبر بؤرة للصراعات الأهلية والأزمات السياسية، ما جعلها في أعلى سلم المناطق المصدرة للاجئين حول العالم. لذلك عدد اللاجئين في هذه المنطقة يشهد ارتفاع مضطرد منذ منتصف القرن العشرين، ففي عام 1969 كان عدد النازحين في القرن الأفريقي 700000 فقط, لكن بحلول عام 1994 وصل الى 6 ملايين, وفي أواخر عام 1995 وصل إلى6.8 مليون, باستثناء هجرات النزوح الداخلية, وذلك حسب تقرير نشرته صحيفة نيويورك تايمز في عددها 283 من شهر سبتمبر 1996.

من الواضح وفي ظل تفاقم أزمة تغير المناخ العالمية وظهور تجلياتها على مستوى منطقة القرن الافريقي، من غير المرجح أن يتم عكس اتجاه حالة النزوح، أو حتى السيطرة عليها، في ظل ظروف اقتصادية وسياسية واجتماعية وأمنية متأزمة في هذه المنطقة.

التداعيات الإنسانية للتغيرات المناخية على منطقة القرن الأفريقي

تعاني منطقة القرن الأفريقي من نقص حاد في هطول الامطار، حيث ذكر المتحدث باسم الأمين العام للأمم المتحدة ستيفان دوجاريك في مؤتمر صحافي عقده في المقرّ الدائم للمنظمة الأممية في نيويورك أنّ "مناطق عدّة من إقليم القرن الأفريقي تعاني بالفعل من الجفاف". وأضاف: "من الواضح أنّ الأمر سوف يزداد سوءاً وسوف يؤثّر على ملايين الرجال والنساء والأطفال في المنطقة". وعليه يمكن أن نجمل تداعيات أزمة التغير المناخي على المنطقة في النقاط التالية:

1- بور الأراضي الزاعية في المنطقة: تعتبر أزمة بور الاراضي الزراعية من ضمن المشاكل التي ترتبت عليها التغيرات المناخية في منطقة القرن الافريقي، وتعد أهم مسببات الهجرات الداخلية

بسبب انحسار مساحات الأراضي الخصبة. حيث ذكرت وكالة ناسا الفضائية في إحدى تقاريرها أن هناك مجموعات بشرية كبيرة تتحرك وتتنقل داخل القارة الأفريقية بحثاً عن أرض قابلة للعيش، باعتبار أن عدم هطول الامطار أدى الى موجات جفاف حادة خلال السنوات الماضية.

2- نفوق ملايين الحيوانات: أشارت قناة البي بي سي البريطانية في تقرير لها أن وضع الرعاة في منطقة القرن الأفريقي كارثي, وأن الملايين من رؤوس الماشية نفقت بسبب الجفاف في مناطق الرعي. حيث أدى ذلك الى تضرر ما لا يقل عن 36 مليون شخص, أصبحوا يواجهون صعوبة في الحصول على الغذاء بعد مواسم جفاف متتالية في القرن الأفريقي. ومن المتوقع أن يستمر الجفاف في شمال كينيا وجزء كبير من الصومال وإثيوبيا حتى خلال السنوات القادمة, مما يعرض ملايين البشر للخطر الغذائي. وتشير بعض التقارير الميدانية الى ان تقديرات خسائر الرعاة تصل إلى انهم خسروا 70% من ماشيتهم.

وفي تقرير نشرته قناة 24 الفرنسية مؤخراً يشير الى استمرار الجفاف في كل القرن الأفريقي, وذلك للموسم الخامس على التوالي, ولا تساقط للأمطار البتة, وبالتالي لا عشب لإطعام الماشية, ما أدى إلى نفوق ملايين الحيوانات. وفي كينيا وحدها يحتاج 4 ملايين شخص إلى مساعدات إنسانية عاجلة بسبب الجفاف. وفي الصومال بلغ الجفاف مستويات غير مسبوقة وتسبب حتى الآن الى نزوح مليون شخص حسب إحصائيات الأمم المتحدة في العامين الماضيين.

3- نقص المياه الصالحة للشرب: حالة الجفاف الحاد التي تضرب منقطة القرن الأفريقي تسبب في النقص الحاد في المياه الصالحة للشرب، حيث أصبح من الصعوبة الحصول على مياه الشرب الصالحة في بعض الأقاليم الجيبوتية والصومالية والسودانية وجنوب السودان، وكذلك الأمر في إثيوبيا وأوغندا وكينيا.

4- انعدام الامن الغذائي: حذرت منظمة الصحة العالمية من أن منطقة القرن الأفريقي الكبرى تشهد واحدة من أسوأ المجاعات خلال الأعوام السبعين الماضية. إذ يواجه أكثر من 37 مليون شخص الجوع الحاد, ويعاني حوالي سبعة ملايين طفل دون سن الخامسة من سوء التغذية الحاد. ومن المتوقع أن تستمر تداعيات الجفاف لسنوات قادمة, وقد يصل خلال الأشهر المقبلة أكثر من 37 مليون شخص من مواطني دول القرن الافريقي إلى المرحلة الثالثة من التصنيف المتكامل لمراحل الأمن الغذائي (IPC3)، أي مستوى أزمة غير مسبوقة.

5- الكوارث الطبيعية: ربما يعتبر المتابعون الى أن أزمة الجفاف هي من أهم تمظهرات التغيرات المناخية على مستوى منطقة القرن الافريقي. ولكن في حقيقة الأمر هناك جانب أخر لهذه الأزمة يتمثل في التغيرات الجذرية لشؤون الموارد المائية لبلدان المنطقة. حيث يواجه الفنيون وخبراء المياه والسدود في دول المنطقة صعوبات في تقديرات هطول الامطار عند عملية حجز كميات المياه خلف السدود، لذلك تحدث الفيضانات المفاجئة والمدمرة، والتي غالباً ما تتسبب في حدوث نتائج كارثية تؤثر على حياة مواطني بعض دول المنطقة.

وفي هذا السياق أفاد يانس لاركيه المتحدث باسم مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية، بتأثر أكثر من نصف مليون شخص بالفيضانات الأخيرة التي اجتاحت مناطق عفار وأمهرة وغامبيلا وأوروميا في اثيوبيا، فضلاً عن المنطقة الصومالية من هذه البلاد، مما أدى إلى تشريد 220 ألف شخص وتسبب في فقدان الممتلكات وسبل العيش. كما أن فيضانات السودان الأخيرة تسببت في التأثير على حياة الألاف من المواطنين ومقتل العشرات, وكذلك الوضع في جنوب السودان لا يختلف كثيراً, حيث أشار مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية إلى تأثر أكثر من 900 ألف شخص جراء الفيضانات الموسمية المستمرة منذ يوليو 2022، بمن فيهم النازحون داخلياً واللاجئون والمجتمعات المستضيفة.

التداعيات السياسية والاجتماعية للتغيرات المناخية على منقطة القرن الافريقي

يرى المراقبون لشؤون منطقة القرن الأفريقي أن إحتمالية تزايد الأزمات

المترتبة على التغيرات المناخية على دول هذه المنطقة خلال السنوات القادمة واردة جداً. وقد تأخذ أطوار من الصراعات الجديدة بين المكونات المحلية، وقد يرتقي ذلك الى مستوى الحروب بين دول المنطقة.

على المستوى السياسي، من الواضح أن تجليات أزمة المناخ على مجتمعات شرق أفريقي ستزيد من حالة الفقر وعدم المساواة بين مواطني دول المنطقة. وبالنتيجة هذا الأمر سيؤجج العنف السياسي بين المكونات المحلية لدول المنطقة. وقد تنبع مخاطر العنف السياسي من عوامل مختلفة بما فيها انتشار الأسلحة، والتوترات العرقية والدينية، وانعدام العدالة في توزيع الثروة والسلطة، وحالة عدم الثقة تجاه السلطات الحكومية. فقد ارتبط التصحر أيضاً بانتظام بالعنف السياسي المتزايد في الصومال واثيوبيا والسودان وجنوب السودان، مما زاد من الضغط على السلطات المركزية في هذه البلدان، التي تعاني من الاصل من ضعف المؤسسات الخدمية. وسيكون التأثير أكثر حدة في هذه البلدان بإعتبارها دول فقيرة لاتمتلك أليات مواجهة هذه التحديات السياسية. ولايزال انعدام الأمن الغذائي يعد من أكبر المشاكل المزمنة التي تعاني منها مجتمعات القرن الافريقي.

على المستوى الجيوسياسي، ستتخذ مخاطر النزاعات المرتبطة بالمناخ شكل من الصراعات الجيوسياسية بالاقتران مع المخاطر المناخية المتزايدة، في ظل نظام إقليمي يعاني من ندرة الموارد الطبيعية. ومن المرجح أن تزداد مخاطر الصراعات الجيوسياسية بين دول الاقليم. على سبيل المثال إن قلة الأراضي الزراعية الخصبة في الهضبة الحبشية أدت الى هجرة الملايين من الاثيوبيين الى سهول "الفشقة" السودانية، وهذا ولد صراع جيوسياسي بين السودان وإثيوبيا كاد أن تندلع بسببه حرب شاملة بين البلدين. ومن المؤكد أن المنافسة الجيوسياسية بين دول المنطقة ستكون شرسة في المستقبل، باعتبار الزيادة السكانية في بعض دولها ستكون من أهم دوافع هذا الصراع.

على المستوى الاجتماعي، بكل تأكيد إن مخاطر الصراعات وعدم الاستقرار الاجتماعي في دول منطقة القرن الافريقي تغذيها تدفقات الهجرة الجماعية، الداخلية والخارجية، الناجمة عن التغيرات المناخية. حيث أظهرت الأبحاث أن الهجرات السكانية الجماعية ستضع الكثير من الضغط على المجتمعات المستضيفة، وتخلق توترات اجتماعية ضخمة بداخلها. يمكن أن تندلع الصراعات بين المجتمعات المضيفة والمجموعات الوافدة، وخاصة عندما تكون الموارد شحيحة هناك. على سبيل المثال كانت الهجرات الجماعية للرعاة في إقليم دارفور السوداني سبب رئيس وراء التوترات العرقية، والعامل المحفز للحرب الأهلية هناك. وبكل تأكيد إلى جانب المخاطر الاجتماعية والصراعات، تهدد الهجرة الجماعية بإحداث أزمات صحية في بلدان منطقة القرن الافريقي.

خلاصة القول تعتبر أزمة المناخ الخطر الانساني الأبرز في العالم، وفي دول القرن الافريقي بالأخص. وسينتج عنها تأثيرات على المجتمعات المحلية وإستقرار دول المنطقة بأكملها. ولكن يبقى الأمر الأهم هو ضرورة تجاوب المجتمع الدولي والمنظمات الأممية في التقليل من المخاطر الناجمة عنها، من خلال توفير الامكانيات المالية والفنية لمساعدة هذه الدول في مواجهة تحديات مخاطر بيئية تسببت فيها أنشطة دول صناعية متقدمة. ■

إبراهيم ناصر: باحث سوداني، حاصل على الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية من جامعة آنقرة يلديريم بايزيد، يدرس الدكتوراه حالياً في كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية بجامعة إسطنبول.

محددات السياسة الأمريكية تجاه العراق في عهد إدارة بايدن

واثق السعدون

إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن قد وصلت إلى البيت الأبيض في كانون الثاني/ يناير 2021, وهي تحت تأثير محددين مهمين فيما يتعلق بالسياسة الأمريكية تجاه العراق, الأول هو تركة سلف بايدن (الرئيس دونالد ترامب) في الساحة العراقية, والثاني ميراث سياسة الرئيس الأسبق باراك أوباما تجاه المسألة العراقية, وبخاصة ان بايدن كان على رأس صانعي تلك السياسات.

المحدد الرئيس الثابت للسياسات الأمريكية، في أي مكان وزمان، وفي أي قضية دولية، يتمثل بالحفاظ على المصالح الأمريكية وحمايتها. فضلًا عن هذا المحدد الرئيس، فأن إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن قد وصلت إلى البيت الأبيض في كانون الثاني/ يناير 2021, وهي تحت تأثير محددين مهمين فيما يتعلق بالسياسة الأمريكية تجاه العراق, الأول هو تركة سلف بايدن (الرئيس دونالد ترامب) في الساحة العراقية, والثاني ميراث سياسة الرئيس الأسبق باراك أوباما تجاه المسألة العراقية، وبخاصة ان بايدن كان على رأس صانعي تلك السياسات، بوصفه كان نائباً لأوباما خلال فترتي رئاسته 2009-2017. بعد شباط/ فبراير 2022 أضيف محدد ثالث، وهو تأثيرات الحرب الروسية الأوكرانية، وانعكاساتها على المصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط بعامة، والعراق بخاصة.

عندما غادر ترامب البيت الأبيض، كان هنالك ثلاثة مشاهد مهمة في بانوراما العلاقات الأمريكية العراقية، المشهد الأول هو تفاعلات الضربة الجوية الأمريكية قرب مطار بغداد في 3 كانون الثاني/ يناير 2020، التي أدت إلى مقتل الجنرال الإيراني قاسم سليماني وأبو مهدي المهندس نائب رئيس الحشد الشعبي. تلك الضربة صعدت المواجهات الأمنية والسياسية في الساحة العراقية، بين الولايات المتحدة من جهة، وإيران والأطراف المسلحة-السياسية العراقية المتحالفة معها من جهة أخرى.

أبرز محطات تلك المواجهات في العام 2020, هي تصويت البرلمان العراقي في 5 كانون الثاني/ يناير على إلزام الحكومة العراقية بالعمل على انهاء الوجود العسكري الأمريكي على الأراضي العراقية. وفي الجانب العسكري كان الأخطر هو القصف الصاروخي الإيراني في 8 كانون الثاني/ يناير لقاعدة "عين الأسد" الأمريكية في الأنبار, وقاعدة أمريكية أخرى في أربيل, فضلاً عن قيام فصائل مسلحة عراقية مدعومة من إيران في 11 آذار/

مارس بقصف معسكر "التاجي" الذي تتواجد فيه بعض القوات الأمريكية. رد الأمريكان على ذلك الهجوم في 13 آذار/ مارس بقصف جوي لبعض مقرات ومستودعات تلك الفصائل في مناطق متفرقة من وسط العراق.

في تلك الأوقات توقع معظم المراقبين للأوضاع العراقية بتصعيد المواجهات بين الولايات المتحدة وإيران وأذرعها في العراق، فقد وصل الأمر آنذاك إلى درجة أن الهيئات الدبلوماسية الأمريكية أصبح من الصعب عليها أن تمارس عملها في بغداد، وانتقل الجزء الأكبر والمهم منها إلى أربيل في شمال العراق.

ولكن المشهد الثاني في العلاقات الأمريكية العراقية إبان السنة الأخيرة من عهدة ترامب، جاء بصورة غير متسقة مع توقعات التصعيد في المشهد الأول، حيث بدأت القوات الأمريكية منذ 19 آذار/ مارس 2020 بالانسحاب من قواعدها في وسط وغرب العراق، مثل قاعدتي القائم والتاجي، وتسليم تلك القواعد للقوات العراقية، فضلًا عن إعلان الأمريكان خفض عدد قواتها في قاعدة "عين الأسد"، والإبقاء على وجود عسكري محدود في شمال العراق.

أما المشهد الثالث، الذي جاء هو الأخر غير منسجماً مع التوترات الأمنية والسياسية بين الولايات

المتحدة والعراق في تلك الفترة، هو عقد جلسة الحوار الاستراتيجي بين البلدين في منتصف حزيران/ يونيو 2020، التي تمت بمشاركة مسؤولين رفيعي المستوى من البلدين. في تلك الجلسات تم الحديث عن جوانب عديدة لتنظيم مستقبل العلاقات والتعاون بين البلدين، في المجالات الأمنية والسياسية والاقتصادية والتعليمية والصحية، كما تضمن ذلك الحوار وعوداً أمريكية كثيرة وكبيرة، بتقديم الدعم للعراق في كافة المجالات.

كان على إدارة بايدن التعامل مع هذه المشاهد المتداخلة، واستخلاص سياستها تجاه العراق منها، بعد عرضها على تقييم تلك الإدارة للمصالح الأمريكية في العراق. لم يطل الوقت حتى أصدر بايدن وثيقة "التوجيه المرحلي لإستراتيجية الأمن القومي" في آذار/ مارس 2021, التي احتوت على 23 صفحة، وتضمنت مقدمة ومحورين رئيسين وخاتمة، المحورين الرئيسين هما: المشهد الأمني العالمي، وأولويات الأمن القومي لدى ادارة بايدن.

في العادة تعلن الإدارات الأمريكية المتعاقبة لمواطنيها وللعالم من خلال هكذا وثائق الإطار العام للسياسة الخارجية التي ستتبعها. وعلى الرغم من أن هذه الوثيقة تحتوي على خطابات رسمية للإدارة، وبالتالي هي لا تعكس بالكامل ما يحدث في مراحل صنع القرار في السياسة الخارجية الأمريكية، التي تتم معظمها خلف أبواب مغلقة، إلا أنها نوعا ما توفر بيانات مهمة في سياق تصورات الإدارات الأمريكية حول التهديدات التي تواجهها، والاستراتيجيات التي ستتبعها لمواجهة ذلك. لذلك يمكننا من خلال تسليط الأضواء على بعض المقتطفات من هذه الوثيقة، أن نتعرف على معالم توجهات إدارة بايدن نحو العراق، بوصف أن هذا البلد أصبح الساحة الرئيسة للمواجهة الأمريكية-الايرانية في الشرق الأوسط.

ورد في الصفحة 11 من هذه الوثيقة جمل مثل " سنعمل مع شركائنا الإقليميين لردع العدوان الإيراني والتهديدات للسيادة والسلامة الإقليمية", و " لكننا لا نعتقد أن القوة العسكرية هي الرد على تحديات المنطقة", و " يتمثل هدفنا في تهدئة التوترات الإقليمية وخلق مساحة للناس في جميع أنحاء الشرق الأوسط لتحقيق تطلعاتهم", وفي الصفحة 13 وردت جملة " سنواصل الدبلوماسية القائمة على المبادئ لمعالجة البرنامج النووي الإيراني وأنشطته الأخرى المزعزعة للاستقرار", وفي الصفحة 14 وردت جمل "سوف نتخذ خيارات ذكية ومنضبطة فيما يتعلق بدفاعنا القومي والاستخدام المسؤول لجيشنا, مع الارتقاء بالدبلوماسية كأداة لنا كملاذ أول", و "استخدام القوة العسكرية يجب أن يكون الملاذ الأخير وليس الأول. يجب أن تكون الدبلوماسية والتنمية وفن الحكم الاقتصادي هي الأدوات الرئيسية للسياسة الخارجية الأمريكية", وفي صفحة 15 ورد " لا ينبغي للولايات المتحدة أن تخوض- حروباً أبدية-، ولن تخوض مستقبلًا مثل هذه الحروب التي كلفت آلاف الأرواح وتريليونات الدولارات".

من جانب آخر، ورد في مواضع عديدة من هذه الوثيقة، تصميم إدارة بايدن على مواجهة مساعي الصين وروسيا، للإضرار بمصالح الولايات المتحدة في العالم بعامة، وفي الشرق الأوسط بخاصة، بالرغم من أن هذه الوثيقة قد صدرت قبل اندلاع الحرب الروسية-الأوكرانية.

من خلال الربط بين معطيات هذه الوثيقة وتحليل مضامينها، على ضوء محددات المصالح الأمريكية، وتركة ترامب في العراق، وإرث أوباما السياسي الذي تشبع به بايدن، وانعكاسات الحرب في أوكرانيا، يمكننا الاستنتاج بأن النهج العام لسياسة بايدن تجاه العراق يرتكز على العناصر الرئيسة الآتية:

1- استعادة زخم وفاعلية العمل الدبلوماسي الأمريكي في العاصمة بغداد, وهذا قد حدث بالفعل مع مجيء السفيرة الأمريكية الجديدة في العراق ألينا رومانوسكي في حزيران/ يونيو 2022. التي تقوم بجهد دبلوماسي كبير ملفت للنظر, فمنذ تشكيل الحكومة العراقية الحالية في تشرين الأول/ أكتوبر 2022 ولغاية الان, قامت رومانوسكي بالاجتماع مع رئيس الوزراء محمد شياع السوداني 10 مرات، فضلاً عن عشرات الاجتماعات مع الوزراء وباقي المسؤولين الحكوميين.

2- تَقَبّل واقع ان الحكومة العراقية الحالية, هي حكومة الإطار التنسيقي الشيعي المدعوم من إيران, مع إضافة بعض الوزراء من القوى السياسية الكردية والسنية, لإضفاء طابع التنوع من

جهة، ولتطبيق مبدأ المحاصصة السائد منذ 2003 من جهة أخرى. وعلى الولايات المتحدة أن تعمل مع الحكومة العراقية ضمن إطار هذا الواقع، للحفاظ على مصالحها في العراق.

3- تهدئة الساحة العراقية، واستبعاد الخيار العسكري لمواجهة إيران وأذرعها، وإبقاء المواجهة بينهما في مستوى ما دون الصراع المباشر، لضمان تدفق النفط العراقي لسوق الطاقة العالمي، وبالتالي ضمان عدم ارتفاع أسعار النفط، والتعويض عن الخيارات العسكرية بخيار الضغط الدبلوماسي من جهة، والإجراءات الاقتصادية التي تضيق الخناق على اختراق ايران ووكلائها في العراق للإقتصاد العراقي.

4- مكافحة أي مساعي من الصين وروسيا لزيادة نفوذهما في العراق.

5- ترويض الفصائل المسلحة المرتبطة بايران، ومحاولة بناء جسور للعلاقات بين واشنطن وبعض تلك الفصائل، وربما سنشهد وعوداً أمريكية لبعض قادة تلك الفصائل بشطبهم من قوائم العقوبات الأمريكية التي أدرجوا فيها خلال عهد ترامب، مثلما فعل بايدن مع الحوثيين، وذلك ضمن استراتيجية أمريكية تهدف إلى عزل بعض تلك الفصائل عن إيران، أو استخدامها كورقة ضغط وتهديد لبعض دول المنطقة، التي قد تتمرد ضد المصالح الأمريكية، مثل دول الخليج أو تركيا. واشنطن لها سابقة في ذلك، على سبيل المثال الولايات المتحدة رسمياً تصنف حزب العمال الكردستاني PKK بأنه منظمة إرهابية، ولكنها منذ عقود تقوم بدعم PKK والمنظمات المسلحة المنبثقة منها، مالياً وعسكرياً، لمناكفة تركيا والضغط عليها، في الوقت الذي يفترض أن تركيا والولايات المتحدة حلفاء في الناتو. ■

واثق السعدون: باحث وأكاديمي من العراق، حاصل على الدكتوراه في تاريخ العلاقات الدولية، مدير قسم الدراسات العربية في مركز أورسام.

العرب والعثمانيون: إعادة قراءة لتاريخ الفترة العثمانية في العالم العربي

محمود أحمد عبداللهي أحمد

مهما يكن من أوجه النقد لفترة الحكم العثماني للعالم العربي، إلا أن ذلك الحكم ساعد على إيجاد وحدة سياسية واقتصادية من نوع خاص، بين الولايات العربية لأول مرة بعد ضعف الدولة العباسية، وما ترتب على ذلك من آثار مهمة على الحياة الاجتماعية.

أدّى تصاعد الشعور القومي العربي المستقل في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، إلى التأكيد على إبراز ملامح الشخصية القومية للعرب، عن طريق كتابة تأريخهم، لا سيما الجبرتي، الذي كثيرًا ما كان يهاجم العثمانيين، الأمر الذي جعل المؤرخين المحدثين يستندوا إلى كتاباته في مهاجمة الحكم العثماني، معولين أيضًا على ما نقله ابن إياس عن الحكم العثماني، وما ذكره عن الفساد الإداري والمالي للدولة العثمانية، ناسجًا خيوط النقد والسخرية على الحكم العثماني، بالرغم مما أحاط الدولة العثمانية من هيبة، وبالرغم من أنها حافظت على الهوية الإسلامية، عبر ستة قرون من الزمان، وهي أطول فترة تحكم فيها دولة تتبنى نظام الخلافة، على مدار التاريخ الإسلامي.

من هنا جاءت دراسة محمد عفيفي في كتابه "عرب وعثمانيون: رؤى مغايرة" ليقدم صورة دقيقة لحالة مصر تحت الحكم العثماني، لكونها حقبة تاريخية لها ما لها، وعليها ما عليها، منتقدًا عملية التعميم التاريخي لتلك الفترة، التي وقع فيها العديد من المؤرخين، بوصفها أسوأ مرحلة تاريخية في حياة مصر. وهو الأمر الذي دفعني لكتابة هذا المقال في هذا الموضوع، لبيان وتوضيح باختصار هذه الرؤية المغايرة، وماذا أراد الكاتب أن يقول.

الأيدولوجيات ودورها في تشكيل الوعي التاريخي

نبدأ بمناقشة الأيدولوجيات، ودورها في تشكيل الوعي التاريخي، لاسيما الحقبة العثمانية، من القوميين الليبراليين وعلى رأسهم لويس عوض وعبد الرحمن الرافعي، ومن الوطنيين ومن نستطع أن نسميهم الاسلاميين مجازًا مثل محمد فريد. ثم نعرج إلى الدراسات الجديدة التي تناولت العثمانيين، وأورد الكاتب محمد عفيفي أمثله كثيره لكتاب عرب، وغربيين، وحتى إسرائيليين كتبوا في هذا الموضوع.

وتوضح الدراسات الجديدة؛ إن الدولة العثمانية في الوطن العربي، لم تكن

بمثل هذا السوء الذي تناولتها بها الاقلام العربية. لا سيما بعد الذي تبين لنا من الكم الهائل من الرحاله المسلمين والعرب، والذين جاءوا إلى مصر، فنفهم من سياق كلامهم إن مصر لم تكن خرابًا، كما يظن الرافعي، أو انعدمت فيها الثقافة كما يظن لويس عوض، بل كانت مناره للعلم والثقافة. وعندما نلقي نظرة على المجتمع المصري في العهد العثماني بشيء من الموضوعية؛ فهو لا مجتمع ملائكة، ولا مجتمع شياطين، وأوضاعهم في العهد العثماني كأوضاع أي مجتمع يمر بمراحل قوة ومراحل ضعف، بالقياس مع مجتمعات تلك الفترة وظرفيتها الزمنية.

فعندما يتطرق المرء إلى الحديث عن الفترة العثمانية، يصطدم بحقل الأيديولوجيات والخلافات النظرية الجدلية، الأمر الذي جعل الجميع يطرح التساؤل التالي: بماذا يمكن وصف مجيء الدولة العثمانية للعالم العربي، أو مجيء السلطان سليم الأول إلي العالم العربي 1517. فهل هو فتح أم غزو؟

وهنا من الممكن أن نحتكم إلى التاريخ؛ للإجابة على هذا السؤال، لا سيما وأن هناك تيار قومي مصري، وفي بعض البلاد العربية قومي عربي، ينظر إلى مجيء العثمانيين إلى المنطقة العربية على أنه بمثابة غزو، وأن هذا الغزو من عوامل نمو الوعي القومي العربي. ويصفهم بالغزو لأنهم جاءوا دون رغبة أهالي المنطقة.

وعلى الجانب الآخر تيار أيديولوجي إسلامي يرى في مجيء الأتراك فتحًا جديدًا في تاريخ الإسلام، وتوطيدًا لآخر خلافة إسلامية "الخلافة العثمانية"، وأن هذا الفتح حمى العرب من السقوط سريعًا في أيدي أوروبا الصليبية الجديدة، وينحسر هذا الجانب على سقوط الخلافة العثمانية، التي في رأيهم كان من الممكن أن تحمي فلسطين من السقوط في أيدي اليهود.

وإذا انتقلنا إلى مسألة هل الوجود العثماني في مصر هو احتلالًا؟ سنجد أن هذا المفهوم ظهر مع نشوء الفكرة القومية في مصر والعالم العربي في أواخر القرن التاسع عشر، وأن مقولة أن الفتح العثماني هو احتلال، هي مقولة يروج لها أنصار التيار القومي المصري المتعصب كما يرى البعض. وبالتالي فإنه ليس احتلالًا؛ لأن الدولة العثمانية؛ هي التدرج الطبيعي للدولة الإسلامية، سواء لمصر، أو لغيرها من الدول العربية. وأن الفكرة القومية لمصر، التي تحاول أن تجد جذور لها في الدولة الإسلامية، والتي تكونت، وكانت قاعدتها مصر.

أمّا موضوع أن الدولة العثمانية، سبب تخلف مصر والولايات العربية، فهنا نجد أن أصحاب هذا الاتجاه على رأسهم جورج زيدان، وعبد اللطيف حمزة، وعبد المنعم ماجد، ارتكزوا على التعميم من حيث أن العصر المملوكي؛ هو خير في مجمله، والعصر العثماني هو شر في مجمله، حيث كان العصر المملوكي؛ هو ذروة تألق مصر الإسلامية، والعصر الذي أصبحت فيه مصر قاعدة لدولة مترامية الأطراف.

ولكن وفقًا لنظرية ابن خلدون في صعود وهبوط الدول، فإن الدولة المملوكية؛ عاشت في فتراتها الأخيرة أزمات اقتصادية، أهمها انهيار النظام النقدي، وإختفاء الذهب والفضة، فضلًا عن انتشار الأوبئة والمجاعات، بالإضافة أيضًا إلى تغيرات دولية؛ أهمها صعود قوة البرتغاليين، واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، مما أثر على تجارة الترانزيت، بالإضافة ايضًا إلى تعسف المماليك في سياستهم الضرائبية واللجوء إلى الاحتكار.

ومن هنا تسقط نظرية أن الغزو

العثماني أنهى مجد مصر وعزها، كما تسقط مقولة التعميم بإطلاق أحكام عامة على عصر، دون النظر في التغيرات المختلفة. ويتضح من هذه الأحداث - أحداث تلك الفترة - أن الدولة العثمانية انتشلت مصر من الضياع، والمجاعات، والأوبئة بعد انهيارها اقتصاديًا، وحافظت على دورها الإقليمي. وما ينطبق على مصر ينطبق على باقي الولايات العربية.

ويؤكد ذلك أندريه ريمون الباحث المتخصص في تاريخ الولايات العربية في العصر العثماني، حيث يقول "إن إحلال إمبراطورية قوية وموحدة (الدولة العثمانية)، مكان مجموعة من الدول على مستوى العالم العربي. تلهث من الإرهاق، كان مفيدًا للمدن، التي ظلت تعاني منذ قرن من الزمان من آثار هذا التدهور السياسي".

التيارات الفكرية: الليبرالي القومي أمام التيار الإسلامي

وعندما ننظر إلى مقولة رضوان السيد "إن العثمانيين بدوا في الكتابات القومية العربية علة العلل في الانحطاط العربي، كما بدوا فرسان الجهاد، ورمز قوة الإسلام، ومجده في كتابات الإسلاميين في العقود الثلاثة الأخيرة"، نجد أنه يجسد لوجهتين نظر للرؤية غير الواضحة لا سيما بعد النظرة المثالية للدولة العثمانية، رمز قوة الإسلام ومجده، التي لم تكن فقط وليدة العقود الثلاثة الأخيرة ولكنها نظرة تردد في لحظات الترقب، وانتظار الجديد. إذا نجد أن هذه النظرة عند أحد كبار الزعماء الوطنيين في مصر في مطلع القرن العشرين؛ وهو محمد فريد، وهذا مع بدايات الانهيار السريع للدولة العثمانية، ومشروع الخلاص الأخير المتمثل في الجامعة الإسلامية على يد السلطان عبد الحميد، وإرتباط الحزب الوطني بالإنتماء للدولة العثمانية في محاولة لنزع الشرعية عن الاحتلال البريطاني في مصر. وفي هذه الظروف أصدر محمد فريد كتابه الشهير "تاريخ الدولة العلية العثمانية" موضحًا في بدايته أن الهدف الأساسي لكتابه؛ وهو إبراز الرسالة الإلهية للدولة العثمانية في نجدة الأمة الاسلامية.

أمّا التيار الليبرالي القومي: فنجد أن عبد الرحمن الرافعي مؤرخ تاريخ الحركة القومية، يعد أبرز من يمثل هذا الاتجاه، فأعماله أدت إلى ترسيخ صورة معينة عن الدولة العثمانية، طيلة الفترة الليبرالية، التي عاشتها مصر منذ إعلان استقلالها عام 1922, حتى قيام ثورة 1952. وامتد تأثيره إلى عملية التأريخ لهذه الفترة، وينتمي الرافعي إلى ما يمكن تسميته تجاوزًا المؤرخين الهواة، فثقافته الحقوقية انطبعت على طبيعة كتابته التاريخية، وأحكامه القيمية.

فعندما يبدأ عبد الرحمن الرافعي تأريخه للحركة القومية، يبدأ ذلك بقدوم الحملة الفرنسية، ونمو الوعي القومي لمقاومتها، متجاهلًا بذلك الفترة السابقة على الحملة الفرنسية، ويتناول تاريخ الفترة العثمانية في صفحات قليلة، يصف فيها هذه الفترة إجمالًا قائلًا: "كان لنظام الحكم الذي رزخت تحته البلاد من عهد الفتح العثماني أسوأ الأثر في حالتها السياسية والعمرانية".

وهكذا يقع الرافعي في نفس المشكلة الأساسية، التي يقع فيها من يؤرخ للفترة العثمانية، ألا وهي التعميم التاريخي. فالرافعي هنا في الحقيقة يؤرخ للفترة القصيرة السابقة على الحملة الفرنسية، ولكنه يعمم هذه المقولة على بقية القرون الثلاثة السابقة على الحملة الفرنسية. هذا إذا سلمنا جدلًا بانهيار الأوضاع في مصر في تلك الفترة، كتمهيد تاريخي لمجيء الفرنسيين. ويمثل هذا الاتجاه أيضًا حسين فوزي في كتاب "سندباد مصر"، ولويس عوض الذي يعتبر من أخر هذا الجيل الليبرالي، الذي تأثر بفكر القومية المصرية.

في حين تراجع التيار الليبرالي القومي أمام التيار الإسلامي بعد هزيمة 1967. حيث ظهرت الكتابات، التي تعيد قراءة التاريخ من منظور إسلامي، وتركزت معظمها على تجربة الدولة العثمانية، باعتبارها أخر خلافة إسلامية، والذي أعقب سقوطها في نظر الكثيرين، اقتسام الوطن العربي والإسلامي بين دول أوروبا، فضلًا عن ظهور القضية الكبرى في التاريخ العربي المعاصر، ألا وهي قضية فلسطين، حيث حاول البعض التركيز على دور الدولة العثمانية في الحيلولة دون السقوط الكبير لفلسطين في أيدي اليهود. وفي ذلك المناخ ظهر الجزء الأول من العمل الضخم للدكتور عبد العزيز الشناوي والمعنون "الدولة العثمانية: دولة إسلامية مفترى عليها".

المدارس التاريخية ودورها في كتابة التاريخ العثماني

فضلًا عن التيارات السابقة، ودورها في كتابة التاريخ العثماني. لا سيما وأن هناك جهات أخرى كالمدرسة الإقليمية لكتابة هذا التاريخ؛ ومنها المدرسة المغاربية التي تميزت بطابع خاص في الاهتمام بالتاريخ العثماني. ويأتي ذلك

نتيجة الظروف التاريخية المصاحبة لمجيء العثمانيين إلى بلاد المغرب. إضافة إلى طبيعة الاستعمار في تلك المنطقة بعد الفترة العثمانية. أما المدرسة المصرية فقد وقعت منذ البداية في أزمات أيدولوجية كبيرة، أثرت على تطور الاهتمام بالفترة العثمانية، ولعل أول هذه المشاكل هي مشكلة التحقيب، والمتمثلة في عام 1017؛ وهو عام دخول العثمانيين مصر, وعام 1798؛ وهو عام قدوم الحملة الفرنسية. أما المشكلة الثانية؛ وهي تركيز معظم الدراسات التاريخية الاكاديمية على عصر محمد علي وأسرته، لذلك أصبح إهمال الفترة السابقة متعمدًا، الأمر الذي أشار إليه المؤرخ أحمد عزت عبد الكريم.

أما المدرسة الشامية؛ فقد تأثرت بكتابة التاريخ العثماني بالصدام الشديد، الذي حدث بين العرب والترك، منذ أواخر القرن التاسع عشر، وحتى سقوط الدولة العثمانية، وصراع القومية العربية أمام محاولات التتريك، والمذابح الجماعية لجمال باشا في الشام. وكما يقول عفيفي إن الدراسات الوثائقية في العقود الأخيرة، تظهرنا على حاكم عثماني لا ينتمي إلى صنف الشياطين الأشرار، ولا إلى صنف الملائكة الأطهار.

وبالتالي نؤكد هنا على أن معظم المؤرخين، قد درجوا إلى وقت قريب عند التطرق إلى العصر العثماني، إلى وصفه بالتدهور والانحدار؛ وذلك بسبب الانسياق إلى النظر إلى الفترة العثمانية في تاريخ مصر من منظور غربي. ومن ناحية أخرى، وصم الكثيرون العصر العثماني بالتدهور دون مراجعة لمفهوم التدهور وأبعاده المختلفة، ومدى انطباق ذلك على العصر العثماني، وعقد هؤلاء مقارنة من وجهة نظر قومية، بين ذروة المجد في عصر سلاطين المماليك، وبناء مصر الحديثة على يد محمد علي، وهكذا سقط العصر العثماني بين مجدين.

لذلك يقدم الرحالة المسلمين معالجة لصورة مصر، للتأكيد على مدى الاستمرارية أو انقطاعها في مكانة ودور مصر في المحيط، الذي قدر لها أن تتعايش فيه، وتكيف دورها التاريخي معه، وبيان النظرة الشرقية لصورة مصر، إزاء النظرة الغربية لها، من خلال شهادات رحالة مسلمين، تغطي فترة القرون الثلاثة، مدعمة بكتابات رحالة المشرق والمغرب، حتى تتكون لدينا صورة مصر بشكل أقرب إلى الدقة. ومن هؤلاء الرحالة ليو الافريقي، والحسن الوزان، ومصطفى على العثماني، وأبي عبد الله القيس، وعبد الغني ابن إسماعيل النابلسي، وأبو سالم العياشي.

وفي الأخير نشير إلى أنه حتى وقت قريب، لم تكن لدينا صورة واضحة عن أحوال المجتمع العربي في العصر العثماني. إذ سادت نظرة سوداوية لهذه الصورة، إلا أن العقود الأخيرة، شهدت صورة علمية في معالجة دراسة مجتمع الولايات العربية في العصر العثماني، من خلال المصادر التاريخية الجديدة، إذ تمت إعادة النظر في المقولات القديمة عن المجتمع العربي، إستنادًا إلى مصادر محلية جديدة، يأتي على رأسها سجلات المحاكم الشرعية، ودفاتر الإدارة.

فأضافت هذه المصادر أبعادًا جديدة في دراسة المجتمع العربي، تتجاوز التاريخ السياسي، إذ أظهرت لنا هذه المصادر مدى تطور المدينة وعمرانها، والعلاقة بينها وبين الريف، والمعاملات المالية المختلفة، وشراء وايجار العقارات، والتعريف بالقوى الاجتماعية، التي كانت فاعلة في السوق المالية، والتجارية، والعقارية. ورصد دور المرأة في المحكمة الشرعية من حيث الأحوال الشخصية، والمعاملات المالية، وأيضًا دراسة العلاقة بين السلطة والأهالي.

كما أبرزت هذه المصادر الدور المهم، الذي لعبه العلماء كوسطاء بين السلطة والرعية. وبعد ظهور حجج التركات، أصبحت مادة خصبة للتعرف على أوضاع الأقاليم والولايات، فكان دور الأوقاف في دعم الأنشطة وتمويلها ذاتيًا، وكان أصحاب الحرفة الواحدة يتجمعون في نظام أشبه بنظام النقابات، يسمى الطوائف، وكانوا ينتخبون كبير للطائفة. وبعض الحجج دلت على أن النساء كان يمارسن الخلع، ويضيفن شروطهم في عقد الزواج.

وفي النهاية؛ مهما يكن من أوجه النقد لفترة الحكم العثماني للعالم العربي، إلا أن ذلك الحكم ساعد على إيجاد وحدة سياسية واقتصادية من نوع خاص، بين الولايات العربية لأول مرة بعد ضعف الدولة العباسية، وما ترتب على ذلك من آثار مهمة على الحياة الاجتماعية، نجد مظاهرها حتى في المطبخ العربي والمأكولات المتشابهة ذات الأصل العثماني، فضلًا عن حرية الهجرة، والتنقل بين بلدان العالم العربي، وتواجد العائلات في مختلف الأقطار العربية. كما لا نستطيع أن ننكر الفترة العثمانية، وأهميتها في الوقوف أمام التدخل الأجنبي، وحماية المجتمع العربي لفترة طويلة من التخريب. ■

محمود أحمد عبداللهي أحمد: باحث مصري، حاصل على الماجستير في التاريخ الحديث من معهد الدوحة للدراسات العليا في قطر، يدرس الدكتوراه حالياً في جامعة القاهرة.

مقابلة

الناشطة في مجال تنمية المجتمعات ماري روز رومان مورفي:

"حجم وتواتر الكوارث الطبيعية في العالم يتسارعان إلى مستوى ينذر بالخطر!"

عبد النور تومي

منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا متخلفة عن أجزاء أخرى من العالم والتي تتخذ خطوات أكبر بكثير لزيادة بصمتها من مصادر الطاقة المتجددة والتخلص التدريجي من استخدام الوقود الأحفوري

أورسام: تعرض جنوب تركيا وشمال سوريا مؤخرا إلى زلزال عنيف غير مسبوق في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، مما تسبب في وقوع عدد كبير من الضحايا ودمار في المباني السكانية ومنشئات البنية التحتية. ما هي درجة تأثير مثل هذه الكوارث الطبيعية على المحددات الجيوسياسية والاقتصادية التي تضع قيود ومعرقلات أمام السياسة العامة للعمل الإنساني في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا؟

ماري روز رومان مورفي: وجهة نظري حول هذه القضية، ستسند على أنني شخصية تأتي من هاييتي التي تنتمي للجنوب العالمي، وشاركت في تأسيس منظمات تعمل مع المجتمعات حول قضايا التنمية والعمل الخيري

من هي ماري روز رومان مورفي؟

أجرى د. عبد النور تومي خبير دراسات شمال أفريقيا في مركز أورسام مقابلة مع رائدة الأعمال الاجتماعية ماري روز رومان مورفي، ماري روز هي رئيسة منظمة RMC-Romain Murphy Consulting في الولايات المتحدة، وهي منظمة غير ربحية تهتم بمشاريع التحفيز الاقتصادي للأعمال الصغيرة ودعم التنمية المستدامة. ولدت ماري روز ونشأت في هايتي، وهي حاصلة على العديد من الجوائز من مؤسسات حكومية ومنظمات مجتمع مدني أمريكية. ماري روز حاصلة على الماجستير في إدارة الأعمال من كلية بابسون، وماجستير في التنمية الاقتصادية المجتمعية من كلية نيو هامبشاير. ألفت ماري روز كتابين في مجال التغيير المجتمعي، فضلاً عن العديد من الدراسات والمقالات.

المجتمعي والإغاثة في حالات الكوارث. بعد زلزال هايتي عام 2010 الذي قتل مئات الهايتيين وشرد 1.5 مليون منهم, عملت مع الهايتيين وأصحاب المصلحة الدوليين على إطلاق مؤسسة مجتمع هايتي, أول مؤسسة مجتمعية لهايتي. منذ ذلك الحين , تعاملنا مع عدد من الكوارث من إعصار ماثيو في أكتوبر 2016 إلى جائحة COVID-19 في عام 2020 وزلزال أغسطس 2021 الأخير الذي أثر على شبه الجزيرة الجنوبية في هايتي، وهو أمر بالغ الأهمية للأمن الغذائي للبلاد. لقد شاركت أيضًا في جهود توطين المساعدات على مدار السنوات السبع الماضية.

إنه لأمر مهم ومؤلم في نفس الوقت بالنسبة لي، أن أشاهد وأرى تأثير هذه الكارثة التي تؤثر على منطقة الشرق الأوسط، وأرى أوجه التشابه في المواقف، وبخاصة في شمال سوريا، المستجيبون المحليون هم أول المستجيبين، لكنهم كالعادة يواجهون احتياجات هائلة بموارد شحيحة، حيث يتم التحكم في الموارد المطلوبة في الغالب من قبل أصحاب المصلحة الدوليين، الذين يكون وصولهم وفهمهم للمجتمعات المحلية محدودًا. بينما يواجه العالم وابلًا مستمرًا من الكوارث، فإن الانتقال إلى إعادة الإعمار الهائلة التي يحتاجها متضرري هذا الزلزال، في مناطق شمال سوريا على وجه الخصوص، سيكون غير مؤكد، وسيكونون في خطر أن يصبحوا قصة إخبارية أخرى منسية.

أورسام: ماهو تقييمكم لمدى جدية الإجراءات الدولية لمواجهة التحديات والمخاطر المحيطة بالمناخ والبيئة والكوارث الطبيعية وإنعكاساتها على المتضررين والمنكوبين؟

ماري روز رومان مورفي: عندما يتعلق الأمر بتغيرات المناخ، فمن الواضح أن المجتمع الدولي يتفهم خطر وتأثير هذه القضية. هنالك دراسات لا حصر لها توثق تأثير تغيرات المناخ وتلفت الانتباه إلى حقيقة أن الكوكب في خطر شديد. البلدان الأكثر تضررا هي دول الجنوب العالمي وهي أيضا الأقل ارتكاباً للأخطاء عندما يتعلق الأمر بانبعاثات الكربون. ومع ذلك، فإن دول شمال العالم غير مستعدة لاتخاذ التدابير اللازمة لإدارة معالجات هذه القضايا أو عواقبها التي تشمل الكوارث الكبرى (فكر في باكستان والفلبين!)، والتي تؤدي إلى هجرات واسعة النطاق لأفراد المجتمعات المتضررة.

أورسام: ما هي أهم المبادرات والمواقف الدولية في هذا الإطار من قبل حكومات الدول المتقدمة ودور المنظمات غير الحكومية؟ وكيف كان نشاطها تجاه الدول المتضررة؟ وكيف كانت عملية تنسيق جهودها مع الحكومات المحلية؟

ماري روز رومان مورفي: عندما يتعلق الأمر بالعمل المناخي، فأن أهم المبادرات كانت اتفاقية باريس، بوصفها اتفاقية دولية رئيسية. فضلاً عن بعض المبادرات الرئيسية التي يركز عليها نشطاء البيئة

وتغير المناخ للحد من استخدام الوقود الأحفوري، واستخدام الطاقة النظيفة، والعمل للحفاظ على التنوع البيولوجي، وتقليل فضلات البلاستيك، وحماية الغابات. ولكن لم يتم الوصول إلى الأهداف التي حددها اتفاق باريس حول التغيرات المناخية، حكومات الدول المتقدمة تدلي ببيانات داعمة لتلك الاتفاقية لكنها لم تتابع التزاماتها. مما يدعو المنظمات غير الحكومية ومنظمات المجتمع المدني إلى اتخاذ إجراءات مناخية أكثر شمولًا. المشكلة الأساسية، وهي منهجية عندما يتعلق الأمر بالمساعدات، هي أن التمويل العالمي لهذه الجهود يميل إلى دعم منظمات الشمال العالمي بدلاً من منظمات مجتمعات الجنوب العالمي، التي تشكل جزءًا من البلدان الأكثر تضررًا. إنها أيضًا قضية أن نشطاء BIPOC (السود، السكان الأصليون، والملونون) ليسوا أيضًا جزءًا من تصميم هذه المبادرات. يتم اتخاذ القرارات الرئيسية بشكل روتيني في أوروبا وكندا وأستراليا والولايات المتحدة للمجتمعات في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ومنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

أورسام: ما هي أهم المخاطر العالمية في قضية التغيرات المناخية والتلوث البيئي والتغيرات الجيولوجية؟ وما هي الأكثر إلحاحاً على المدى القصير والمتوسط؟

ماري روز رومان مورفي: لقد كان حجم وتواتر الكوارث الطبيعية يتسارعان إلى مستوى ينذر بالخطر. تستمر منظمات الأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية الدولية الكبيرة في توجيه نداءات أكبر عندما يتعلق الأمر بالإغاثة الإنسانية. تم جمع المزيد من الأموال ولكن النسبة التي تذهب مباشرة إلى المنظمات المحلية والوطنية في العالم الجنوبي انخفضت إلى 1.2% العام الماضي، على الرغم من سنوات من الدعوات التي تصدر من شبكات منظمات العمل الانساني والحماية البيئية في الجنوب العالمي مثل NEAR و Alliance for Empowering Partnership، إن الفكرة القائلة بأن منظمات الشمال العالمي يمكنها الاستمرار في تلبية الاحتياجات الإنسانية المتزايدة للعالم دون تحويل الموارد والسيطرة إلى المنظمات المحلية والوطنية للجنوب العالمي، هي فكرة سخيفة وغير مستدامة مالياً وخاطئة من الناحية البرنامجية. من يمكنه الوصول إلى هناك أولاً؟ من يتكلم اللغة؟ من يعرف تلك المجتمعات أكثر؟ من يمكنه القيام بالمهمة بطريقة أكثر فعالية من حيث التكلفة؟ الجواب: المنظمات المحلية وقادة المجتمع المحلي.

أورسام: إن إستمرار المخاطر والأمراض (على سبيل المثال جائحة كورونا) والكوارث المتعلقة بالمناخ والكوارث الطبيعية التي أدت تداعياتها إلى خلق أزمات إجتماعية واقتصادية في البلدان النامية، مما دفع بمئات الآلاف من السكان بالهجرة غير الشرعية نحو البلدان المتقدمة، ما هي قرأتكم لهذه الظاهرة؟

ماري روز رومان مورفي: التغيرات المناخية مع ارتفاع درجات الحرارة يقفان وراء انتشار الأوبئة. تعاني العديد من مناطق العالم من درجات حرارة عالية جداً، يتم الآن فقط دراسة تأثيرها على البشر والحيوانات والبيئة. شهد العالم عددًا قياسيًا من المهاجرين واللاجئين خلال السنوات القليلة الماضية، وأصبح من الواضح أن ما كان يُنظر إليه في البداية على أنه أزمة، أصبح جزء من مشكلة عالمية تفاقمت بسبب تغير المناخ والأزمات الاقتصادية الناجمة عن الوباء (بالإضافة إلى الحروب والاضطرابات الأهلية). هذا لن ينتهي، ستستمر الهجرة في الزيادة، هنالك أجزاء من العالم أصبحت غير صالحة للسكن بسبب تسارع التغيرات المناخية. على الصعيد الدولي، تحتاج البلدان حقًا إلى مراجعة مفهوم الحدود ذاته، ومعرفة كيفية معالجة الأسباب الجذرية للقضايا بدلًا من معالجة الأعراض بطريقة ضحلة ومعادية للأجانب، وحتى استعمارية. ■

عبد النور تومي: باحث وأكاديمي من الجزائر، حاصل على الدكتوراه في العلوم السياسية، خبير في قسم دراسات شمال افريقيا في مركز أورسام.

Ortadoğu Araştırmaları Merkezi • Center for Middle Eastern Studies • مركز دراسات الشرق الأوسط

ORSAM

www.orsam.org.tr

+90 850 888 15 20 info@orsam.org.tr orsamorgtr

ORTADOĞU YAYINLARI

منشورات الشرق الأوسط

www.ortadoguyayinlari.com

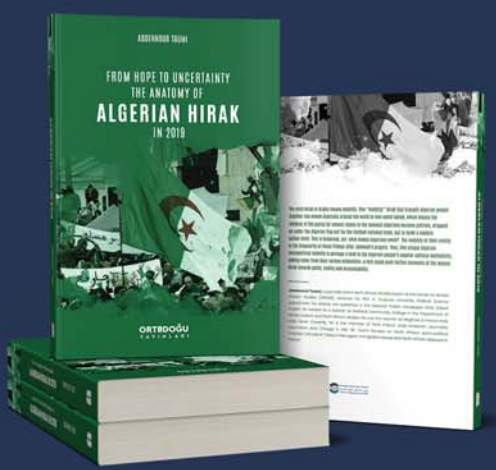

Ortadoğu Araştırmaları Merkezi • Center for Middle Eastern Studies
ORSAM
مركز دراسات الشرق الأوسط